اضحك ولا تبتسم

◆

الابتسامة تكاد تكون في عرف السواد الاعظم من الناس أجمل ما يرتسم على الشفاه وأعذب ما تضيء به قسمات الوجه .

ولكنني ، ولا أعلم اي دافع حماني على مخالفة الناس ، أصبحت منذ زمن غير بعيد اشمئز من الابتسامة واقرأ فيها الف معنى ، الا معنى العذوبة ، واتبين على نورها شتى الالوان ما عدا لون الجمال .

ويشتد بي اليقين حيناً بعد حين ان هذه السمة اللمّاعة التي تعلق بين الشفتين وينداح ظلها في صفحة الوجه انما هي وليدة الغرور المتعجرف ، وطابع الشك الهدام ، وعنصر الهزء الابله . ذلك ان للابتسامة سلطانا يحجب عنك خفايا النفس وصورة الحقيقة ، ولا شيء أقوى على الصدم وأمضى سلاحاً في الهدم من هذه الابتسامة ، تسمو بصاحبها فوق كل جواب وتمرّ به امامك كالبرق الخاطف ، وتنتزعه كالجبار الساحر من بين يديك .

ومن الغريب انني كلما أمعنت الباصرة في ثنايا الابتسامة تجسمت لعيني جرائمها على ممر العصور ، وتمثلت لي شنعاء في صغرتها الساخرة ، تهزأ بالعلماء والمخترعين في مجامع الادعياء ، وتعيش على افواه المتعنتين من ضعاف الايمان ، والجهلاء من عبيد التقاليد ، الذين يستسيغون موارد الشك ويستقدرون على هدم الحقائق وزرع الريبة حول كل قضية او عقيدة او رأي ، بابتسامة صغيرة تسندها هزة رأس او شموخ انف .

والمؤسف ان هؤلاء الناس المتذرعين بسلاح الابتسامة ينتهي بهم الامر الى التأثر بالسخافات ويكثر عندهم النزوع الى الاخذ بالتافه السفساف وهو خطر مخيف على تطور المجتمع وتقدمه وعلة مؤذية لمكارم الخلق وجمال الصدق وقوى السمو والابداع .

لذلك بتّ أميل الى التبشير بالضحك بدلاً عن الابتسام . فالفرح الحقيقي ، حتى في قياساته المتجاوزة ، يفتح آفاق الابداع . وهو اذا هدم شيئاً بفعل الافراط ، فانه يهدم دون شك اطباق الغباوة التي تحتاج دوماً للهدم لانها تتوالد من غير انقطاع .

والضحكة الكبيرة تنطوي أبداً على عاطفة خصبة ، وتشف عن نفس لها ايمانها في الحياة . ان وراء الابتسامة باباً مقفلاً ، اما الضحكة فانها تنحسر عن عالم مفتوح هو عالم الانطلاق والامل ، عالم له قراراته البعيدة واعماقه المزدحمة بعناصر الابداع وفتنة الاسرار .

أضحك ولا تبتسم .

ميشال ابو شهلا
صاحب جريدة الجمهور

الرمزية والشعر الرمزي

بقلم الدكتور نقولا فياض

المراد

بالرمزية التعبير عن المعاني والاشياء بواسطة الصور والرموز وهي مأخوذة من الرمز ومعناه في اللغة الاشارة او الايماء بالشفتين او العينين او الحاجبين او الفم او اليد او اللسان . وعليه قال الشاعر .

جذبته لعناقي فانثنى خجلاً وكُللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي برموز من لواحظه ان العناق حرام ، قلت في عنقي

والرمزية طريقة قديمة العهد كثيرة الانتشار بين الشعوب العريقة في التاريخ كالكلدان والهنود والمصريين والفرس وسواهم ، فكانوا يمثلون الآلهة والارض والربيع وكل ما يبدو لهم من هذا الوجود باشكال وصور مختلفة يستعيرونها من كل ما دبّ في العراء او طار في الهواء او سبح في الماء . وقد تجد حتى اليوم في اقاصي الهند كثيراً من الانصاب الهائلة والتماثيل الضخمة وللمايد متعددة يرمز بها الى الفضيلة تحارب الرذيلة وقد ظنها المبشرون الاوروبيون لاول عهدهم بها صوراً من صور الشيطان المعبود . وكان الفرس يرمزون الى الالوهة بالنار والمصريون الى الخلود بافعى تعض على ذنبها او تحجب رأسها به .

وبلغوا من امعانهم بالرمزية ان خلعوا على الخالق سبحانه اشكالا شتى فجعلوا له تارة اجنحة كالعصفور وطوراً انياباً كالسباع كما صوروه على مثال الانسان ، وفيه يقول « اورفه » شاعر الاغريق قبل هوميروس ومؤسس دياناتهم : انه الجالس على عرشه الازلي بين الغيوم يصرف الرياح ويزجي الزوابع ويضغط برجليه على الارض ويعد من اعماق الجو بيده فتلمس شواطيء البحرين . »

ولما كان كل شيء رمزاً وكانت الخلائق باسرها متنكرة في غير ازيائها ظهر اثر ذلك في اللغة فكانت كتابة الفلاسفة والذين جابوا الاصقاع البعيدة او اتصلوا بذلك العهد رموزاً الا فيما ندر، واليك بعض الامثلة على ذلك :

لا تثر النار بالسيف : اي لا تهيج الرجال في حال غضبهم

لا تضع المصباح تحت المكيال : اي لا تحجب الحقيقة عن الناس

لا تقرب الفول : اي اهرب من المجتمعات العمومية . ذلك لان التصويت فيها كان بواسطة الفول . في العاصفة اعبد الصدى اي اعتزل في الجبال عند الاضطرابات الداخلية . لا تكتب على الثلج اي لا تحاول تعليم العقول الضعيفة . ولا تأكل قلبك ولا مخك اي لا تستسلم الى الحزن او الى مشاكل الاعمال . الى آخر ما هنالك مما يضيق عنه الحصر .



وكان من انتشار الرمزية في الشرق وتغلغلها في مصر وفينيقيا ان تسربت الى العبرانيين في عاداتهم وخطاباتهم فكانت التوراة مشحونة بالرموز التي كثيراً ما تحتاج الى التفسير . واغرب هذه الرموز ما جاء في سفر الجامعة عن الشيخوخة : اذكر خالقك في ايام شبابك قبل ان تظلم الشمس والقمر والكواكب وترجع السحب عقيب المطر . يوم يرتعش حفظة البيت وينحني رجال البأس وتبطل الطواحن لقلتهن ، وتظلم النواظر من الكوى ، ينخفض صوت المطحنة ، وتغلق الابواب على الطريق ، ويقوم الانسان عند صوت العصفور وتسكت جميع بنات الاغاني ويزهر اللوز ويتضخم الجراد وينشق قشر الأصف وينطلق

الانسان الى دار الابدية .

فالمقصود باظلام الشمس عبوسة الكآبة ، وبرجوع السحب الهموم المتعاقبة او ان الشيخوخة . وارتعاش حفظة البيت يراد به ارتعاش الساعدين وانحناء رجال البأس ، انحناء الركبتين . اما الطواحن فهي الاسنان . والمعنى من اغلاق الابواب على الطريق اقفال الشفتين لانها تنزويان الى داخل الفم متى سقطت الاسنان التي تتألف منها المطحنة . وقيام الانسان عند صوت العصفور اشارة الى ان الشيخ خفيف النوم قليله حتى ان صوت العصفور ينبهه . وسكوت بنات الاغاني رمز الى ان الشيخ لا يميل لسماعهن ولا هن يغنينه . واما ازهار اللوز فالمراد به بياض المشيب ، كما يراد بتضخم الجراد تورم الساقين الخ . هذا الوصف للشيخوخة لو كان في اللغة العادية لاختصر في جملة . ولكن الظاهر ان التعبير الرمزي كان اوقع في نفس السامع وأبعد اثراً لما يقتضي من اعمال الفكرة في تفهمه وحفظه .

ومثل ذلك ما جاء في سفر ارميا : هكذا قال لي الرب اصنع لك ربطاً وانياراً واجعلها على عنقك وارسل بها الى ملك الروم وملك مؤاب وملك بني عمون وملك صور وملك صيدا يشير الى نير الرق الذي يحمله شعب اليهود ومن يليهم من الممالك المجاورة .

ويروي هيرودس ان ملكاً من السيت (Scythe) ارسل الى داريوس عصفوراً وضفدعاً وخمسة أسهم ، كأنه يقول له ان لم تهرب بسرعة العصفور أو الفار او الضفدع فان نبال سيت تنفذ الى احشائك .

ومثله ما فعل احد الحكام الرومانيين عندما استشاره ابنه في كيف يجب ان يعامل من هم تحت امرته فقد كان الحاكم ساعتئذ يتنزه في حديقته فلم يكن منه الا ان تناول عصا وضرب بها الرؤوس العالية من الخشخاش فتساقطت من حوله وكان ذلك ابلغ جواب فقام الابن واعمل السيف بالكبراء من شعبه .

ان الربط والانيار في عنق ارميا رمز العجز وهدية سيت الى داريوس رمز القوة وضرب هام الخشخاش رمز الظلم وهذه التعابير الرمزية قلما نفهمها اليوم وربما ضحكنا منها على انها كانت لذلك العهد من الامور البسيطة كما انها لا تزال مستعملة حتى اليوم في بعض الاصقاع كتركستان والقوقاز وغيرهما .

وكان الكاهن الاكبر عند العبرانيين يحمل على صدره اثني عشر حجراً رمزاً الى اسباط اسرائيل الاثني عشر .

واول ما عرفت الكتابة كانت الاشياء تمثل بالصور او الرموز ولا تزال كذلك في بعض الشعوب والقبائل فترى سكان المكسيك يعبرون عن القتال برسم سهمين وعن العالم بحلقة مستديرة وعن الشهر بصورة هلال .

واثار الرمزية بادية الى يومنا هذا في النقش والتصوير يعبرون بها عن شتى المعاني . ومن ذلك تمثيلهم الالم في شكل فتاة منطرحة على الكرسي حزينة باكية وعلى رأسها قناع اسود يتدلى حتى ركبتيها وفي يدها مشعل قد خبا نوره ولا يزال دخانه يتصاعد وامامها جرن من الاجران التي توضع على القبور .

لا اظن ان هنالك امة او لغة خلا فيها التعبير من الرمز حتى الشعر العربي ولكن الفرق بين الاقدمين وشعراء اليوم ان اولئك كانوا يكتبون بما يتصورون دون ان يتعمدوا الرمزية فيشيروا اليها او يقيموا لها قواعد واصولاً .

والشعر العربي كغيره خاضع لتأثيرات الخيال والتصور . فالرمزية طبيعية فيه ومنه قولهم المعنى بقلب الشاعر . وهذا بيت الفرزدق في هجو جرير مثال على ذلك :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

وقضى عليك به الكتاب المنزل

يريد ان بيت جرير في العرب واه ضعيف فهو غريب عن المجد ويقصد بالكتاب المنزل الى قوله تعالى ان اوهى البيوت بيت العنكبوت .

هذه بعض خطرات عن الرمزية . اما ما يسمونه الشعر الرمزي في هذه الايام فهو بدعة المجددين في فرنسا اواخر القرن الماضي وموعدنا في التحدث عنه قريب ان شاء الله .

الدكتور نقولا فياض



حديث الى المتخرجين والمتخرجات

بقلم كنعان الخطيب

لا اظن احداً يجهل الزكام المعروف « بالرشح » خصوصاً حينما تكثر التقلبات الجوية المفاجئة . فلا يكاد يطل فصل الخريف حتى تدب في جراثيمه حرارة الايمان بالجهاد ، فيجول ويصول متنقلاً من أنف الى انف آخر لا فرق عنده بين انف عاجي لطيف أو خرطوم غليظ خشن . ومن المعلوم عن هذا الداء – كما يزعم البعض ··· انك اذا اتخذت الحيطة وتدبرت جميع الوسائل اللازمة لاتقاء شره لازمك مدة لا تتجاوز السبعة الايام . واما في حالة اهمالك اياه وعدم انتباهك اليه فيلازمك اسبوعا كاملا ، وبعبارة اوضح ، لا بد لك من ان تتحمله صابراً شئت ام ابيت . وما أشد وجه الشبه بين ما يعانيه العالم اليوم عامة وبلادنا خاصة من ادواء سياسية كانت او اقتصادية اجتماعية او دينية ، وبين المصاب بالزكام من حيث المعالجة الخارجية المؤقتة وعدمها . فكما ان المصاب بداء الرشح لا يتم شفاؤه الا متى اكتسب الجسم مناعة داخلية وتكاتفت جميع قواه الكامنة فيه على مقاومة الجراثيم ، هكذا حال الامة المريضة ، لا يرجى شفاؤها مما تعانيه الا متى نشأت في جسمها عناصر فتية ملؤها القوة والحياة ، وتضافرت منها الجهود على استئصال ادوائها والقضاء عليها .

فالى هذه العناصر الحية ، الى هذه الوجوه التي تعلوها ابتسامة الفوز ، الى المتخرجين والمتخرجات من المعاهد العلمية على اختلافها اوجه هذا المقال .

تعاني بلادنا اليوم ، داء أشد ما يكون من الخطورة هو في نظري علة العلل . استطيع ان اسميه « قصر النظر » وذلك عدم التمييز بين الوسائل والغايات . فالدين مثلا وسيلة غايتها عبادة المبدع الاعظم سبحانه وتعالى ، واللغة وسيلة غايتها التفاهم بين الناس والتعبير عن فكر صحيح او عاطفة صادقة . والوظيفة الحكومية وسيلة غايتها السهر على مصالح الامة ، وتأمين راحة افرادها . والطب وسيلة غايتها تخفيف آلام جميع المخلوقات على مختلف طبقاتها ، والتعليم وسيلة غايتها خدمة النشء الذي تعقد عليه الامة كبير الآمال . والفن وسيلة غايتها السمو بالنفوس البشرية من عالم المادة الى عروش الجمال حيث تتذوق وتتفهم معانيه ، فتنطبع بطابعه دون ان تذوب فيه . والزواج وسيلة غايتها حفظ النسل والتعاون على حمل اعباء الحياة ورفع مستوى الحياة العائلية . والحرب ·· الحرب ايضاً وسيلة غايتها نصرة الحق والعدالة واعادة الحريات المغتصبة الى الامم المستضعفة . ومن يبحث في احوال نفسية الامة اليوم يتضح له جلياً اننا نتمسك بالوسائل ناسين او متناسين الغايات . بل كثيراً ما نتخذ ما يجب ان يكون وسيلة لغاية ، غاية بحد ذاتها .

ولا خلاص من هذا الخطر الذي ينذر بدمار كيان الامة ، الا متى نشأ بيننا شباب يميز بين الوسائل والغايات ، شباب يحسن وضع الامور في اماكنها . فالشباب قلب الامة النابض ودمها الجاري في عروقها ، منه رجال المستقبل وامهاتهم : هؤلاء هم الثمر الناضج الذي تجنيه الامة من دوحات تستمد غذاءها من أشرف المبادىء وأسمى الغايات ، حيث يقضون الايام والليالي يبحثون وينقبون ليتزودوا من كل ما هو خير ونبيل . ثم يخرجون من عالم المدرسة الى مدرسة العالم في مثل هذا الموسم من كل سنة وقد حملوا رسالة جديدة ، وآراء صائبة ، متمسكين بالصالح من التراث المتحدر اليهم من السلف ، محطمين جميع القيود والحواجز التي تعترض سبيلهم او تحول دون تأدية الرسالة التي يحملون .

ويجب ان لا يغرب عن بالنا ، ان هذا الفوج الجديد الذي سينضم الى افواج سبقته من قبل ، ليس الا ثمرة جهود مشتركة بين البيت والمدرسة كشركة تجارية مساهمة ، شركة لا تتعاطى تجارة الدقيق والسكر او الزيت والصابون ولا تعرف للاحتكار المقوت معنى ، لكنها شركة تتعاطى تجارة المجوهرات ربما يذكر بعضكم تلك القصة الرومانية القديمة – قصة كورنيليا والجوهرتين : كانت كورنيليا هذه اماً رومانية من الله عليها بابنتين كأنهما ملاكان . جاءتها ذات يوم صديقة تملك ثروة طائلة وفتحت امامها حقيبة ثم أخذت تعرض ما فيها من الجواهر النفيسة النادرة الوجود . وبعد ان شاهد الحاضرون هذه النفائس واعجبوا بها ، التفتت السيدة الى كورنيليا قائلة : « أحقاً ما يقولون عنك يا كورنيليا انك فقيرة وليس لديك ما تتزينين به من المجوهرات » . فلم يكن من كورنيليا الا ان رفعت رأسها عالياً واحتضنت ابنتيها ثم قالت : « هاتان جوهرتاي الثمينتان وهما عندي أثمن من نفائس وكنوز ··

وانما اولادنا بيننا ... اكبادنا تمشي على الارض

ان هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

حقاً ان الاولاد كالحجارة الكريمة التي تستخرج من الارض ولكنها تحتاج الى كثير من الاهتمام والعناية بقطعها وتنظيفها وصقلها قبل ان تظهر قيمتها الحقيقية . على اني لا اود ان اذهب بتشبيهي هذا الى حد بعيد لئلا اغمط الاولاد حقهم – فالجواهر جمادات لا حياة فيها بيد ان الاولاد جواهر حية تنمو وتتحرك وتبتسم . . . يفتح الطفل عينيه على نور الحياة وقد وهبه الله نصيباً من المؤهلات والقوى الكامنة ثم لا يلبث ان يتعرض الى انواع العوامل والمؤثرات التي تكون منه شخصية لها صفاتها وكيانها . فالواجب المشترك بين العائلة والمدرسة هو التعاون على ضبط هذه المؤثرات وحسن توجيهها بطريقة تساعد على اكتمال النمو الجسمي والعقلي والروحي معاً ، ليصبح هذا المخلوق ذا شخصية متكاملة الاتزان لها اهدافها في الحياة . شخصية تعيش لتفكر ، لا تفكر لتعيش . وما العائلة والمرأة الا اسمان لمسمى واحد . مستوى الاولى مرتبط بمستوى الثانية تلك التي رفعها الله ووكل اليها اسمى منازل الحياة ، منزلة الام ذلك الاستاذ الذي لا يمحو علمه ، ولا ينسخ آيته استاذ سواه . لقد كان من سنن اليونان ايام سقراط وافلاطون ان يقف الرجل حاسر الرأس اذا مرت به امرأة حامل ، وما ذلك الا لما مهد الله لها من عمل روحي مقدس : الامومة .

أو لم يقل النبي العربي الكريم : « الجنة تحت اقدام الامهات » .

سئل مرة احد ابطال التاريخ الحديث « نابليون » أي حصون فرنسا امنع ؟ فاجاب : « المرأة الصالحة » .

لقد تم للمعز لدين الله ان يفتح ما يلي من افريقيا حتى البحر المحيط ثم اخذ يرنو الى مصر واجماً متهيباً ، فلم يزل كذلك امره حتى سمع قائلا يقول « ان نساء الاخشيد أغرقن في الترف واستهن بالفضيلة » فما لبث ان قال : « اليوم فتحت مصر » . وكذلك وهنت نفس المرأة وهي مصدر قوة الامة فتداعت اركانها واندك صرحها وتم الفتح للطامعين .

تلك هي مهمتك الشاقة ايتها الفتاة العزيزة وذلك هو قسطك من هذا الاصلاح المنشود . واسمحي لى ان الفت نظرك الى امر آخر قبل انهاء مقالي : حذار . . حذار ان تكترثي لما يطرق مسامعك من اصوات المطالبين بحقوق المرأة المهضومة « فكوني واثقة مطمأنة واعلمي ان لك حقوقاً مقدسة ليس باستطاعة أي رجل اغتصابها . هي في حوزة يدك دائماً وابداً فما عليك الا ان تثبتي وجودك وتشعري بالمسؤولية الملقاة على عاتقك لتعي حقيقة ما اقول . ولا تنسي ان ما خصك الله به من لطف فطري ، وشعور رقيق ، وعواطف نبيلة ، وانوثة ساحرة كل ذلك سلاح بل قوة ترتد عنها قوى الجبابرة . على اني لا اخفي عنك اننا بفضل تيار المدنية المشوه والتفرنج الممقوت الذي طغى على الكثيرات من بنات البلاد قد اصبحنا بحاجة لمن يطالب « بحقوق الرجل المتبخرة » واني لاخشى اذا قدر وناديت مطالبة بتلك الحقوق المزعومة ان يصيبك ما اصاب تلك الفتاة المسكينة التي قضت عليها الاقدار وامست زوجاً لرجل خشن الطبع سيء الخلق والخُلق متحجر القلب والعقل ، يصلح ان يكون ابا لها . . . لكنه غني . . . وكان زواج صح فيه قول المرحوم شوقي :

« ما زوجت تلك الفتاة وانما ... بيع الصبا والحسن بالدينار »

وقد كان من عادة هذا الزوج المحترم ان لا يخاطبها الا بقوله « يا مرى ! أين كنت يا مرى؟ ماذا فعلت يا مرى؟ هل نام الاولاد يامرى » حتى اصبحت هذه الكلمة وكأنها سهم يخترق فؤاد تلك الفتاة المنكودة الطالع . فجاءته ذات يوم تحدثه بوداعة الحمل علها تحمله على فهم ما لها عليه من حقوق فيقلع عن تكرار هذه اللفظة التي طالما زادت طين تعاستها بلة وقالت : « لم تخاطبني هكذا وانا ام اولادك؟ انا التي تسهر على تربيتهم وتهذيبهم وتتعهدهم بعين عنايتها . فلا تغض على قبيح فعالهم . انا التي تغرس في نفوسهم بذور القومية الصادقة ليشبوا رجالا اشداء وامهات وفيات . انا شريكة حياتك ، وعماد امرك ، ومهبط نجواك ، انا من تذود عنك هموم نفسك وتحتمل دونك الكثير من شؤونك فاذا اصابتك مصيبة ، كنت لك الجناح الذي تطير به الى الامل ، انا مصدر سعادتك وهناءك . أو لم تسمع قوله تعالى : « ومن آياته انه خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » او بعد ذلك تضن علي بكلمة « عزيزتي » ؟

كل ذلك وهو مطرق يصغي الى كل كلمة من كلامها وما كادت تنتهي من هذا الدرس القيم حتى شخص اليها ببصره وكأنه ندم على ما بدر منه ثم قال : « والله الحق معك يا مرى » .

فاذا صح ان السعادة الحقيقية هي ذلك الشعور الذي يستحوذ على كيان المرء بعد قيامه بواجبه وتأدية رسالته فما اسعد تلك المرأة الصالحة وان بقيت جنديا مجهولا . . .

بل ما احوج بلادنا اليوم الى ذلك الجندي المجهول . . .

كنعانه الخطيب



العفاف المغوي

•

أتيتِ فأورق الادب السنيّ
وغنّى الحب واخضل الرويّ
وكنتُ على الجفاف ومن قنوطي
يفيض على دمي ظل شقيّ
عليك من الهوى قوت منيع
ومن أعرافه عبق شهيّ
وفي عينيك يستهوي عفاف
له في النفس جاذبه الخفيّ
وفي شفتيك اغواء لذيذ
يذوب عليه قربان نقيّ
أتيت ، من السماء عليك ظلّ
ومن اغراسها خضر طريّ
فقبّلني على شفتي رسول
ومس فمي كلام عبقريّ

الياس ابو شبكة

حياتنا الادبية

بقلم قدري قلعجي

رئيس تحرير مجلة « الطريق »

●

في عهد كالعهد الذي نعيش فيه ، عهد الكفاح من اجل الحرية ، يغدو الادب ضرباً من النضال واستشرافاً لحياة ارقى ، ويرى الاديب انه مرغم على ان يعالج امراض مجتمعه ، وان يغمس ريشته بدم الانسانية المهدور على مذابح الطغاة . وفي امة كأمتنا ، استيقظت على حين غرة ، بعد ان هجعت خمسمائة عام في غيابة الجهل والفقر والعبودية ، يجد الادباء شخصياتهم الضائعة ، وينظرون حولهم نظرة الرجل الحر المسؤول عن مصيره لا نظرة التابع القاصر غير المكترث للاحداث ، فلا يجدون في بيئتهم البيئة الصالحة التي يريدون ، فيعملون على خلقها خلقاً جديداً .

فماذا صنعنا نحن ، او ماذا صنع المفكرون منا ، من اجل هذه الامة — امتهم ، الواقفة على مفرق الطرق في اروع حقبة من التاريخ ؟ ماذا صنع ادباؤنا لتوجيه النهضة الحديثة التي لمست قشور حياتنا ولم تنفذ الى اللباب ؟ أي مصباح اشعلوه في الظلامة التي تختنق في لجتها ، واي معول رفعوه لتحطيم الظلامة التي نستشعرها كلما نزعنا الى غاية من الغايات فوجدنا امامنا سداً من السدود ؟! .

لقد عنيت الادباء خاصة ، لانهم اظهر رجال الفكر اسماً واشدهم قوة واعمقهم تأثيراً ، ولاننا بفعل ما ورثنا عن ابائنا من المعرفة بصناعة الكلام ، الصق بالادب من اي فن آخر ، فنحن نعنى به في حياتنا المدرسية اكثر من عنايتنا بالعلم ، ونعنى به في حياتنا الاجتماعية اكثر من عنايتنا بالخلق ، ونعنى به في حياتنا السياسية اكثر من عنايتنا بصواب الرأي . ويكفي واحدنا ان يكون رشيق اللفظ انيق العبارة كي يفوز باعجابنا ويخدعنا عن احساسنا ويوهمنا بما يقول حتى لنحسب باطله حقاً .

وما دام للادب في بلادنا في هذا الشأن ، وللاديب هذا الخطر ، فنحن على حق اذا تساءلنا عن مدى مساهمة الادباء العرب المعاصرين في انهاض الشعوب العربية من كبوتها ، وتوجيهها نحو القمم الرفيعة التي ما زالت تحلم بها منذ عصور طوال كما تحلم بشمس الربيع حبة القمح المدفونة في التراب كي تشق عنها الارض وتشرئب بسنابلها الخضر كأنها تهم الى السماء .

ان تاريخنا الادبي المعاصر تاريخ هزيل نبت على هامش الحياة فلم يقتبس منها نوراً ولا ناراً . وقد شيعنا في امين الريحاني آخر رجل في قافلة الجيل البناء الذي اقام اسس النهضة الحديثة وكان من اعلامه الكواكبي والافغاني وولي الدين والشميل وفرح انطون ، اولئك السابقون الذين انطفأ بعدهم مشعل الحرية الفكرية او كاد ، اذ خلفهم في تأدية الرسالة الادبية جيل حائر يهدم ولا يبني ، واذا بنى فعلى اسس واهية تكفي نفخة من الريح لتعبث بها وتذريها .

استثني نفراً من الادباء المدركين الذين يعرفون ماذا تريد امتهم وماذا يريدون ، واجيل نظري فيمن اعرف من الادباء الطالعين فلا ارى فيهم من يستطيع ان ينبئك برسالته : من يعرف لماذا يكتب ، وكيف ، ولمن ؟

يروى ان احد السلاطين الغابرين طلب من كاتب القصر ان يكتب رسالة الى احد الملوك في غرض عينه له ، ففعل الكاتب ما امر به ، ثم قرأ الرسالة على السلطان فوضع هذا على كاتبه

البقية على الصفحة ٥٧

الفن الفرنسي في مئة عام

بقلم ج . لاسين

لفظ السيد جاك لاسين Jacques Lassaigne ، مدير مصلحة النشر والاذاعة للمندوبية العامة لفرنسا الحرة في الشرق ، بمناسبة افتتاح معرض الالواح الفرنسية : « الفن الفرنسي خلال مئة سنة » في فلسطين محاضرة مسهبة بحث فيها تاريخ حركة الفن المستقل فتكلم عن الحركة « الانطباعية » (١) ، و « الانطباعية الجديدة » (٢) ، و « الانطباعيين » (٣)، و«الرمزية» (٤) ، و « الفرفيزم » (٥) ، و « الفن المكعب » (٦) ، هذه الحركات التي تعاقبت على الفن الفرنسي طوال القرن الاخير ومهرته بروائع لا عهد بمثلها الا للقليل النادر من البلدان . فقال في مستهل محاضرته ان الخمس والسبعين سنة الاخيرة متسمة في فرنسا باستقلال كل فني استقلالا يحتفظ له بكل مقدرته على البحث والاستقراء . على ان مباحث الفني ليست ثمرة الصدف والهوى بل هي متصلة متكاملة . فبين جميع كبار رجال الفن المستقلين الذين يؤلفون الجماعة الانطباعية تضامن وقربى يعدوان حد الالفة الى حد الاخوة . وثمة دافع اسمى يربط هؤلاء الذين ينتسبون الى اريستوقراطية عليا هي اريستوقراطية النبوغ . ولقد كان كبار الانطباعيين وما يزال كبار اساتذة اليوم يتبادلون الاحترام والاعجاب على الرغم مما يباعد بين امزجتهم ونظرياتهم ، خلافاً لما أثر عن رجال الفن من التحاسد والتخاصم . ذلك ان بين هؤلاء اكثر من الصداقة . فهم على الكثير الغالب غير متحابين، واكثر من التفاهم، فلديفاس وسيزان كلمات قاسية في هذا المصور او ذاك . ان بينهم نوعاً من المساواة في الشعور بكرامة الانسان، وفي العظمة، اي في سيادة الحسب والعبقرية .

وانتقل المحاضر الى تحديد «الانطباعية» و«الانطباعيين» فقال ان اهمية الحركة الانطباعية ، هذه الاهمية التي لم يسبق مثلها في تاريخ الفن ، هي ان الحركة تجاوزت حدودها الى الحياة في حلقة من النوابغ، وقد قطعت هذه الحركة الدليل على ان الجماعة الفنية لا تعني في الواقع كتلة من شخصيات متآلفة متجانسة، بل على نقيض ذلك ان لا فائدة من ان تجمع سوى مزايا مختلفة يمكن ان تجتمع او ان تتكامل . وليس الانطباعيون مدرسة كما نفهم عادة بهذه المدرسة الايطالية او تلك ، اي انهم ليسو محترفاً بل هم اكثر من ذلك بكثير : انهم كيانات فردية قوية شاعرة كل الشعور بتشابهها كما هي شاعرة بتباعدها، توحد بينها اذواق ونفرات مشتركة لتؤكد معاً اعتقادات ذات قرابة ولكنها حرة . يا لها امثولة تتجاوز بكثير نطاق التاريخ الفني ! فحول بضعة افكار توائم ميول العصر وحول اكتشافات تقنية تمضي بفن التصوير

« رجل » بريشة كلود مونيه

قدماً الى الامام يجتمع بعض رجال الفن من الفتيان ليتبادلوا وجهات النظر ويتناهموا ، على ان كلا منهم يظهر ذاتيته في المعرض الذي ينظمه وينم على الطريق الذي سيسلكه وحده .

هذه هي الانطباعية . وهذا الاتصال بين الاحرار من رجال الفن يكفي لجمعهم الى الابد فلا يحيدون عن سبيل التعاون ، بل يتأثر بعضهم ببعض ويتكاملون ولا يلبثون ان يصبحوا ألسنة عصرهم بكل ما فيه من الميول والالوان . وهكذا بقي الفن الفرنسي حياً وما يزال حياً في ظلمات المحترفات التي هدمتها الحرب وضربها البؤس . وصفوة القول ان الفن الحديث صادر بكامله عن اولئك الرجال الذين انشأوا تلك الجماعة الخصبة التي عاشت في اواخر القرن الفائت، تلك الجماعة الفريدة التي باحترامها مبادىء الحرية اوجدت التوازن بين تحقيق الموهبة الفردية ومتطلبات العصر .

فما هي الصلة بين الانطباعية والانطباعيين؟ فانطباعية تتصل بتقليد قديم في التصوير الفرنسي على الخصوص هو البحث عن بيان ما في الطبيعة . فالنسب لاشك فيه بين لوحات بوسان Poussin ولوران Lorrain وواتو Watteau ودوبيني Daubigy من جهة ، وصغار اساتذة القرن الثامن عشر ولوحات هوي Huet وبونتنتون Bonington وكورو Corot من جهة اخرى . فليس ثمة اي فرق كبير بين لوحة ريفية من ريشة دوبيني واولى لوحات الانطباعيين . وما عتم الامر ان راح المصورون يأخذون مناظر صحيحة عن الطبيعة فيزدادون بذلك اقتراباً من الواقعية ، وعلى هذا تكون الانطباعية حركة واقعية قبل كل شيء .

سوى ان رغبة المصورين في اظهار مفاعيل النور حملتهم على العدول عن تصوير الطبيعة جامدة كما هي في لوحات كوربيه ، فراحوا يسعون لاخراج الواقع حياً متبدلا كما يفعل النور بالاشياء . وكان مونه في جملة الذين اجروا هذه التجارب، فصور المشهد نفسه على لوحات مختلفة . وسرعان ما تطورت هذه الفكرة فاعلن الفنيون استقلالهم من الطبيعة وراحوا يسعون للتعبير عما يوازي الواقع بائتلاف جديد من الالوان والخطوط . ومن هذه الفكرة نشأت الرمزية والفوفيزم ، وهو الاتجاه الاكثر غنى واهمية في الفن الفرنسي الحديث مع بونار Bonnard وفويلار Vuillard وروسيل Roussel وموريس دنيس Maurice Denis وفالوتون Valotton وماتيس Matisse وماركه Marquet وفريز Friesz ودوفي Dufy وروول Rouault وفلامنك Vlaminck .

فالرمزية لا تتردد في تبديل الشكل لتحصل على مفعول حسن . وقد قال موريس دنيس في كتابه : « من رمزية غوغن Gauguin الى اسلوب كلاسيكي جديد » ان الفن هو الطبيعة مرئية من خلال مزاج . ولكن فيما المصور سورا يقرر للذكاء المكان الاول في هذه البدعة اذا دنيس يضيف اليه القلب والحواس . اما الفوفيزم فهو النتيجة المنطقية لهذه الافكار عن طريق انطلاق الغرائز العنيف في التصوير ، ونجد على رأس هذه الحركة الرسام ماتيس Matisse الذي عرف التصوير بفضله انسجامات جديدة . فقد احل محل مبدأ انسجام لون واحد مبدأ انسجام عدة الوان ، اي انه استخدم اعنف الالوان في آن واحد . والواقع ان رجال طريقة الفوفيزم لا يبحثون عن وسائل متطرفة الا ليختاروا منها ما يخلع على التعبير اكثر قوة ، فالعنف والشدة يسمحان لهم بان يقتصدوا ويقربوا ويكونوا اكثر ايجازاً من اية مدرسة سابقة واكثر قوة على الدلالة . وهكذا يبدو هذا الفن الثوري على جانب عظيم من الاتزان . فبدل ان يبحث المصور دوفي عن الوحدة في المنظر يكتفي بالمعادلة بين مختلف الاجزاء التي يتألف منها هذا المنظر، تاركاً لكل جزء استقلاله . وبذلك يعزل مختلف العناصر بعضها عن بعض فيعطي كلا منها طابعه ، ويحصرها في خطوط مختصرة .

لوحة « ريفية » بريشة فلامنك

وعلى ذكر ماتيس ودوفي Dufy لا مندوحة لنا عن

وعلى ذكر ماتيس ودوفي Dufy لا مندوحة لنا عن الكلام على التأثير الشرقي ولا سيما الفن الصيني والرسم الياباني . ولكن الثقافة العجيبة التي يتصف بها رجال هذه الطريقة لا تمنعان يكون الى جانبهم ، بل في ظلهم قوى فطرية شعبية تعطي هذا الفن الحديث ماوية دائمة التجدد فلا ينحدر الى التكيس او الى الجدب .

وانتقل السيد لاسين الى الفن المكعب فقال ان هذا الفن ظهر بعد الفوفيزم بزمن فهو يتصل بمصورين تدرجوا على مهل كسيزان Cézanne وديغا Degas ، فسيزان يعبر عن الواقع وفياً له حتى الاستعباد ، ويسلك طريق التشويه او تبديل الاشكال ليس بدافع الشهوة والحس بل عن طريق المنطق . وفي اواخر حياته عندما بدأ بمعالجة نفوذه الحاسم في الفن المكعب (الكوبيزم) الناشي . وضع في المرتبة الاولى مسألة البحث عن أساليب جديدة للاشكال . وقد صدر عن حسه ليعزله ويثبته ويخلق طبيعة جديدة مقابلة للطبيعة الحقيقية . وهذه المحاولة هي نفسها التي اعتنقتها جميع المدارس الكلاسيكية

تلك هي الخطوط الكبرى لاتجاهات الفن الفرنسي الحديث . وقد رأينا الاتجاهات المتناقضة في الظاهر تتحد وتتكامل ، ورأينا الجميع يتناولون من امثولة كل استاذ احسن ما فيها . ورأينا كذلك كلا من المصورين الانطباعيين يترك ذرية مباشرة وأثراً خارق العادة لا يموت . ورأينا اخيراً كيف استثمر رجال الفن المعاصرون آثار هؤلاء ، فماتيس مدين ليس لوغن فحسب بل لسيزان ورينوار Renoir أيضاً . ولا شيء يضيع ، فالجسم في عرف رينوار هو تمثيل كامل للكون الحساس . وبهذه النظرية يتجاوز رينوار قضية التقنية الى ميدان الاشكال الابدية والتخيل ، فيخلف بذلك ذرية ليس بين المصورين بل بين المثالين من رجال الفن الشكلي .

وصفوة القول ان يكن الفن الفرنسي الحديث قد أثار له او عليه أهواء عنيفة فذلك دليل على ان الجمهور رأى فيه وفرة في الامزجة والحركات والافعال . ولم يسبق للمناقشات والاقلام ان مثلت مثل الدور الخطير الذي مثلته في ذلك العهد الطافح بالغليان الفكري . فاذا كان الفن الفرنسي الحديث يبدو على هذا الوجه من الاختلاف فهو يدل على استمرار عجيب ، فكبار المصورين الذين استهلوا عهدهم في مطلع هذا القرن مرتبطين بالاساتذة الانطباعيين وما يزالون على رأس الطليعة من رجال الفن مابرحوا يتجددون ويكبرون حتى أصبحوا اليوم أساتذة العالم باسره في الفن حاضراً ومستقبلا . ومما لا نزاع فيه ان هؤلاء المصورين المعاصرين هم وراث تلك البضعة من كبار الانقلابيين الذين ما برحوا في جادة الفتاء كتنتوره Tintoret وغريكو Greco . ولقد شهد العصر الحاضر في ما شهد من الحركات الفنية ، نشأة الفن المكعب الذي هو بحق احسن ما في التاريخ من الفنون القياسية ، ولكن الاسراف فيه تجاوز الحدود التي قررها اساتذة هذا الفن كبيكاسو Picasso وبراك Braque ولوت Lhote وبيسير Bissière مما اساء الى الشعور الانساني في الفن . وخلص المحاضر الى القول : انها لمهمة واجبة ان يؤدى الى الفن الفرنسي المعاصر حقه في الوقت الذي يخيل فيه الى الكثيرين انه بالامكان نسيان ما كانت فرنسا وما هي اليوم ، ما هي حضارتها وثقافتها ووجودها الذي لا غنى عنه في الوقت الذي يخيل فيه الى الكثيرين ان الفن ليس سوى مسألة حكومية يستطاع توجيهها كانها مسألة اقتصادية او عسكرية .

ج . لاسين



« مخطط » بريشة بيكاسو

(1) L'Impresionnisme (2) Néo - Impressionnisme (3) Les Impressionnistes (4) Le Symbolisme (5) Le Fauvisme (6) Le Cubisme

فليكس ارفير ، شاعر فرنسي اشتهر بهذه القصيدة التي ننشرها على هذه الصفحة ولولاها لطوى الموت ذكره من زمن طويل . وقد اقامت مجلة « الزهور » التي كان يصدرها المرحوم امين تقي الدين وانطون بك الجميل في مصر ، قبل الحرب الماضية ، مباراة في نقل هذه القصيدة الى العربية نال الجائزة الاولى فيها المرحوم رشيد بك نخله . ونحن ننشر الاصل والترجمة مترحمين على شاعر الحب والوفاء .

« الاديب »

الحب المكتوم

فليكس ارفير . نقلها الى العربية : رشيد نخله

رشيد نخله

يا غراماً في مهجتي ابديا ... من لحاظ بلحظة دبّ فيّا

حادث في الهوى تكتم حتى ... كاد يُخفى في النفس مني عليّا

لا دواء للداء مصدره الحب الذي بات عن سواي خفيا

سببته تلك التي ليس تدري ... انه قد غدا هوى عذريا

ويح قلبي أمرّ بالقرب منها ... لا اراها ترنو بلحظ اليّا

معها دائماً ووحديَ دوماً ... دانياً دائماً ودوماً قصيا

سوف اقضي الحياة لم أعط شيئاً ... كيف يعطى من ليس يطلب شيّا

واراها وان تكن ذات قلب ... وشعور رقا كطبع الحميّا

تتخطى الحياة ليست تبالي ... مات مضنى الغرام أو ظل حيّا

وحفيف الهوى يرافق منها ... خطوات تخطفت مقلتيا

هكذا وهي في الامانة ترعى ... لشروط الزواج عهداً وفيّا

تقرأ الشعر وهي ملء السطور ... الشعر وصفاً وطلعة ومحيا

ثم تغدو تسائل النفس عمن ... تركتني في الحب صبًا بكيا

***

ويح حظي هي التي تيّمتني ... بهواها وليس تعلم شيّا

رشيد نخله



فليكس ارفير

Mon âme a son secret, ma vie à son mystère,
Un amour éternel en un moment conçu:
Le mal est sans espoir, aussi j'ai dû le taire,
Et celle qui l'a fait n'en a jamais rien su.
Hélas! j'aurai passé près d'elle inaperçu,
Toujours à ses côtés et toujours solitaire;
Et j'aurai jusqu'au bout fait mon temps sur la terre,
N'osant rien demander, et n'ayant rien reçu.
Pour elle, quoique Dieu l'ait faite bonne et tendre,
Elle ira son chemin, distraite, et sans entendre,
Ce murmure d'amour élevé sur ses pas.
A l'austère devoir pieusement fidèle;
Elle dira, lisant ces vers tout remplis d'elle,
« Quelle est donc cette femme? » et ne comprendra pas.

Félix Arvers

النهضة الثقافية بمصر المعاصرة

بقلم عبد العزيز احمد

رئيس قسم المعاجم بمجمع فؤاد الاول للغة العربية بمصر ومندوب وزارة
المعارف العمومية لكلية فاروق الاول الشرعية ببيروت .

●

حديثنا عن بعض مظاهر النشاط العلمي والثقافي واهدافه ، بمصر المعاصرة ، أعني من بعد الحرب الماضية الى اليوم حيث كان على عرش مصر المغفور له الملك فؤاد ، ثم تربع عليه خليفته ووارث همته جلالة الملك الشاب فاروق الاول .

لقد نهضت مصر من ذلك الوقت نهضة قوية ، ثابتة الدعائم واضحة المعالم .

ومن حسن الحظ ان الظروف كانت مؤاتية ، فالنظام الاقتصادي توطدت اركانه ، والرخاء المادي ظهرت بوادره بمصر ، وصلاتها بغيرها قد قويت وامورها السياسية استقرت ، بعد ان ظفرت في عهد الملك الراحل باسترداد حريتها ودستورها .

وقد كان لمصر من عقله الكبير وايمانه العميق وارادته الصلبة وتجاربه الواسعة ، واخلاصه للعروبة والاسلام ، مدد قوي ، وفي ظله نشاط غير محدود ، تعددت مظاهره وتجلت نتائجه .

وقد عمل الملك الراحل وبعده الملك الشاب على ان تستمد مصر من الغرب نظامه وتستفيد من طرائق تفكيره ، وتستغل ما انتجته الحضارة مما يناسب البيئة المصرية . وكان حريصاً على ربط حاضرها بماضيها ، وحرصه اشد على ان يطبع كل ما تقيده مصر بالطابع العربي ، وعلى ان لا تفنى الشخصية المصرية في هذا الطوفان الوافد عليها من الغرب ، مع تقديره ما على مصر العربية من تبعات فرضها عليها موقعها الجغرافي من حوض البحر الابيض ومركزها المتوسط بين الشرق العربي والغرب الاوروبي .

وقد تعالت به همته عن ان تقصر الغاية من طلب العلم على الفوز بالشهادات الدراسية مهما سمت بل ينبغي ان يطلب العلم للعلم ، وللعلم وحده ، وما عدا ذلك فهو نافلة .

كانت هذه سياسته التي سار عليها بالجامعة الاهلية وهو امير ، ووجه اليها المشرفين على الجامعة الاميرية وهو ملك .

وفي ضوء ما تقدم يمكن ان نتصور برنامج النهضة وندرك اهدافه .

فمما يميز النهضة العلمية في هذا العصر ، ان شؤون الثقافة ، وقد تشعبت – نظمت بالقوانين واصبحت تصدر عن تفكير وروية ، ودراسة عميقة تبين اهدافها وتوضح مراميها .

وعلى هذا نرى عناية كاملة متجددة بالتعليم في جميع مراحله ، تتناول اساسه ونظامه ، والغرض منه ، ونشاطاً قويا يعم جميع مرافق الحياة المصرية والنهضة الثقافية .

ففي الوقت الذي تحارب فيه مصر الامية بجعل التعليم الالزامي اجباريا بنص القانون حتى اصبح بالمكاتب العامة في القطر المصري نحو مليون من التلاميذ ، نراها لا تهمل التعليم العام للفتيان والفتيات فتعمل على اصلاحه مراعية تمصيره وطبعه بالطابع العربي . وهي معنية الى جانب ذلك باخذ الشباب بانواع من النشاط المدرسي لها اثر بعيد في تكوين خلقه وتفكيره وتوسيع آفاق ثقافته وتنظيم جهود الطلبة التعاونية ووسائل مساهمتهم في الاصلاح الاجتماعي

وليس من الضروري ان نعرض لبيان المدارس وانواعها من ابتدائية وثنوية او فنية للبنين والبنات ولا ان نذكر عدد تلاميذها فقد يطول بنا الاحصاء ، وتُملنا الارقام .

غير انه يجمل بنا ان نشير الى ان كل نوع من المدارس الفنيه تجارية او صناعية او زراعية يزود طلابه بثقافة نظرية ودراسة عملية يمكن بها توفير اكبر عدد من الفنيين والصناع المثقفين الذين تحتاج

اليهم النهضة الفنية والصناعية بمصر .

اما البنت فقد رسمت لها سياسة تعليمية تتجه بها الى ما هيأتها الطبيعة له ، فتعد أعداداً خاصاً لمواجهة الحياة المنزلية ، يرجى من ورائه الخير للبلاد التي هي في حاجة الى الام المتينة الخلق الملمة بواجباتها المدركة لخطورتها .

ولهذا انشئت مدارس للثقافة النسوية ، وللفنون الطرزية ، وللتدبير المنزلي تذهب اليها الفتاة ان عدل بها اهلها عن التعليم العام .

والى جانب مدارس الحكومة انشيء كثير من المدارس الحرة المصرية والاجنبية كان لها أثر محمود في نشر التعليم . ولم تدخر وزارة المعارف وسعاً في مساعدتها على النهوض بهذا العبء بالتشجيع الادبي ، والمساعدة المادية ، مع شدة حرصها على ان يصطبغ التعليم بالصبغة القومية ولا يتعارض في اتجاهه مع النزعة الوطنية وهذا ما حدا بالحكومة بعد ان تحررت من الامتيازات الاجنبية في عهد جلالة الملك فاروق ان تصدر قانوناً للتعليم الحر يجعل من حق وزارة المعارف الاشراف التام على مدارسه مصرية كانت ام اجنبية

ولم نعرض بعد للتعليم او النشاط الجامعي فله حديث آخر .

واذا كانت العناية بالطلاب واجبة فالعناية بالمعلم الصالح اوجب . ومن اجل ذلك شمل التنظيم معاهد تخريج المعلمين حتى يمكن مواجهة السياسة التعليمية الجديدة ، فانشيء معهد التربية العالي لتخريج المعلمين ومثله لتخريج المعلمات ، لا يقبل بهما الا من يحمل الليسانس من الجامعة المصرية ، واعيد تنظيم معهد دار العلوم لتخريج مدرسي اللغة العربية فتهيأ من المدرسين جيل مثقف ثقافة عالية ومزود باحدث الاراء والنظريات في التربية وطرق التعليم .

وقد بذلت مصر في سبيل النهضة التعليمية ما استطاعت من جهود وما افادت من تجارب ولم تبخل بمال . فقد بلغت ميزانية وزارة المعارف في سنة ٤١ — ٤٢ (٤،٥٠٢،١٠٠) جنيه مصري غير ما رصد للجامعة والمعاهد الدينية ومجالس المديريات مما بلغت جملته نحو ٧ ملايين ونصف مليون من الجنيهات المصرية .

هذه هي جهود وزارة المعارف التعليمية ، فاذا تركنا معاهد التعليم جانباً لنتعرف مظاهر النشاط الاخرى رأينا الكثير ، ووجدناه يرجع في أساسه الى شيئين كما ذكرنا : الاتصال بالغرب والاخذ عنه والمساهمة في جهوده ، ثم الاحتفاظ لمصر بعربيتها واحياء التراث القديم .

وعلى هذا نرى مصر حريصة على ان تشارك في كل مشروع او جماعة تعمل لرقي الفكر الانساني او النشاط الادبي والعلمي باوسع حدوده فهي تنفيذاً لهذه السياسة تشترك في اللجنة الدولية للتعاون الفكري بباريس ثم تنشيء شعبة محلية بمصر سنة ١٩٣٧ الغرض منها تنظيم التعاون الفكري وتشجيعه ، والعمل على ايجاد صلة بينها وبين الشعب القومية المماثلة لها في الخارج ولاسيما في الاقطار العربية وبين الامم الشرقية ، والقيام بتمثيل الاغراض الثقافية المصرية لدى هذه الهيئات ، قاصدة من وراء ذلك تحقيق أغراض المعهد من توحيد جهود الباحثين في شتى الفروع التي يتناولها اختصاصهم وتسهل عليهم سبيل البحث العلمي المنتج والمساعدة على خلق روح دولية لها أثرها الفعال في علاقات الشعوب .

ويمكن ايضاً ان ندرك السبب الذي دفع مصر ان تولي الترجمة عناية اوفى من ذي قبل ، فتجعلها منوعة تتناول العلم والادب والفلسفة قديمها وحديثها ، ينهض بها كبار الادباء والعلماء بدافع من انفسهم واستجابة لرغبة وزارة المعارف . فنرى لطفي السيد باشا يترجم كتب اريسطو ، والدكتور طه حسين بك يترجم الادب الفرنسي والادب اليوناني ، والاستاذ الزيات عن الفرنسي ايضاً ، والدكتور محمد عوض عن الالماني ، والاستاذ العقاد والمازني عن الانجليزي ، وتنهض لجنة بترجمة دائرة المعارف الاسلامية ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، وغيرها كثير ، يترجمون في الفن والعلم والادب ، كل ذلك وفقاً لسياسة مرسومة ، حرصاً على ان تغنى المكتبة العربية بعيون الادب الاوربي وثمرات العقول الغربية ، فتجد فيها غذاء صالحاً ولقاحاً نافعاً لادبنا العربي وانتاجنا الادبي .

وقد قابل هذا النشاط في الترجمة من اللغات الاوربية نشاط آخر في الترجمة اليها ، وهو مظهر من مظاهر الحرص على احياء التراث العربي واذاعته بين الغربيين .

لذلك تشترك مصر في جمعية (جيوم بيديه) المؤلفة في باريس للعناية بنشر الآثار الادبية والعلمية لامم البحر الابيض وتنشيء لها شعبة في مصر ١٩٣٩ تعنى بنشر روائع الادب العربي نشراً علمياً دقيقاً وترجمتها ترجمة فرنسية تمكن المثقفين الاوروبيين من الاطلاع على ما اضافه العرب الى تراث الحضارة الانسانية وما ساهموا به في ترقية العلم والفن والانتاج الفكري بوجه عام ، وقد نشطت الشعبة المصرية للترجمة لولا ان حالت الظروف الحاضرة دون النشر .

على انا لا ننسى جهود الافراد في هذا السبيل ولا ما بذله الازهر في العصر الحديث لتفهيم العالم الغربي حقيقة الدين الاسلامي

ومراميه بتقرير ترجمة معاني القرآن ترجمة دقيقة وبما تنشره مجلته من مقالات بالانكليزية تذيع رسالة الاسلام خالصة من الشوائب وبما كان من اشتراكه في مؤتمر الاديان ورسالة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي التي تركت اثراً عميقاً في اروقة المؤتمر ، وبذلك يعود الازهر الى عهده الزاهر يؤدي رسالة العروبة والاسلام في ظل جلالة الملك فاروق .

اما احياء التراث العربي القديم فقد رسمت له سياسة واضحة اساسها الحرص على نشره نشراً علمياً دقيقاً فلا يكاد ينشر مخطوط قديم حتى تبذل الجهود اولا في جمع النسخ المتماثلة او صورها من مكتبات اوربا والشرق ، ونرى بعثات تتوافر منقبة باحثة في دور الكتب لانتخاب الصالح للنشر او للبحث عن المفقود وقد ساهم رجال السلك السياسي المصري في المعاونة وتذليل الصعاب ويكفي ان نذكر مثلاً لذلك ما بذل من جهود ومفاوضات حتى امكن الاذن بتصوير الاجزاء الناقصة من تفسير القرطبي بعد ان كان ذلك مستعصياً وبهذا اتيح له ان يرى النور بعد ان ظل دهراً أسير الاقبية والخزائن .

ونظرة الى مطبوعات جامعة فؤاد الاول ودار الكتب المصرية ولجنة التأليف والترجمة والنشر وشركات الطباعة وما نشره الافراد تكشف لنا عن ذخيرة ثمينة لمصر ان تعتز بالتوفيق الى نشرها حتى اصبحت قريبة من كل يد على هذا النحو من الدقة والتحقيق كالذي نراه في كتاب الاغاني او السلوك للمقريزي او الذخيرة لابن بسام .

ولم تنس مصر ان تعمل على نشر ما يتعلق بتاريخها من وثائق ، او تكليف من يكتب تاريخها من جديد كتابة نزيهة معتمدة على الرسائل الرسمية والمحفوظات الخاصة فتفتح للباحثين المكتبة الملكية بالقصر ودور المحفوظات بجمعوز وبسجاون . فيكتب هانوتو الفرنسي واعوانه كتابا ضخما بتكليف من الملك فؤاد ، وكذلك الدكتور محمد صبري المصري . ويلقى الاستاذ اسد رستم اللبناني من جلالة الملك فاروق من الرعاية والتشجيع مثل ما لقيه من جلالة الملك الراحل فيجمع الوثائق الرسمية ويرتبها ويبوبها وينشرها تباعاً وكلها يلقي ضوءاً ساطعاً على طبيعة الصلاة التي تربط الشام بمصر في عهد ابراهيم باشا الى جانب ما نشره من مجموعات الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي او اسباب الحملة عليها الى غير ذلك مما حوته سجلات عابدين الملكية .

وقد فكرت الحكومة في العام الماضي في اعداد برنامج الاحتفال بالعيد الالفي لمدينة القاهرة فكان اول شيء شرعت فيه ان يجمع كل ما كتب عن مصر في شتى اللغات تاريخاً او ادباً او غيره وألفت وزارة المعارف لذلك لجاناً للبحث والمراجعة والجمع والتبويب حتى يمكن ان تكون المواد كاملة عندما يحين الوقت لنشرها وبذلك يتاح لجمهور القارئين ان يروا مكتبة ضخمة تحتوي كل شيء عن مصر القديمة والحديثة .

ونرى مؤسسة اخرى هي مجمع فؤاد الاول على ان تكون مظهراً من مظاهره وان يكون للاقطار العربية فيه ممثلون ، فنرى من افاضل اعضائه اللبناني والسوري والعراقي والتونسي ، وقد ضم اليهم بعض المستشرقين الذين لهم قدم ثابتة في الدراسات اللغوية واطلاع واسع في اللغات الشرقية والاوربية القديمة .

واذا كان المجمع صورة للتضامن بين الاقطار العربية ومظهراً من مظاهر الحرص على الوحدة الثقافية فان للمؤتمرات العلمية والثقافية التي تعقدها مصر وهذه الاقطار اثراً قويا في توثيق تلك الروابط وانماء روح التعاون المنتج . واقرب دليل على ذلك ما تم بين العراق ومصر من اتفاق على انشاء مكتب ثقافي دائم ينضم اليه اعضاء يمثلون الاقطار العربية ، وها هي العدة تتخذ لعقد مؤتمر ثقافي بمصر في الخريف القادم . وقرأنا في الصحف اخيراً ان الدعوة للاشتراك فيه قد وجهت الى الحكومة اللبنانية .

ونحن نشاهد ، الى جانب هذا ، حرص مصر على التعاون العلمي البريء هي والاقطار العربية ، فتفتح ابوابها للطلاب والاساتذة وتندب اساتذة مصريين الى الاقطار الاخرى ينهضون بما يفرضه عليهم الواجب الاخوي ، والمساهمة في سبيل العلم وفاء للعروبة والعمل على رفع لوائها خفاقاً .

هذه بعض مظاهر النشاط المصري يدفع بعضها بعضاً مثلاحقة متماسكة . وهنالك نوع آخر من ذلك النشاط العلمي تبذله مصر في سبيل العلم الخالص ابتغاء العمل الانساني المنزه عن الغاية .

وان مصر لتشعر انها لا تزال في اول الطريق وان عليها تبعات جساماً ترجو ان توفق الى النهوض بها .

واليوم وقد آن للبلاد العربية ان تسترد مجدها وسابق عزها ، فان مصر لسعيدة فخورة بأن تشارك في الواجب وتتحمل تبعاته وتمد يدها للتعاون مع كل من يعمل على رفع شأن العروبة تنفيذاً لبرنامجها وتحقيقاً لامنيتها .

عبد العزيز احمد



المعلم

بقلم توفيق يوسف عواد

اراك ، يا بني ، قد كبرت وتفتحت عيناك على ابيك . أكون مديراً ظهري – وربما فعلت ذلك عن قصد – فاحس عينيك ما تزالان واقفتين على عاهتي ، واكاد اسمع شفتيك الصغيرتين تتمتمان : « لماذا يكون لكل الآباء عينان صحيحتان وأبي أعور ؟ ويقيناً يا بني ، انني افهم العذاب الذي تتخبط به وارثي لك من اجله . ولو تدري مبلغ ما يتعاظمني الشيء اذ افكر بعبثك مع اترابك ، فاتمثلهم ، في خبثهم البريء ، يعيبونك بأبيك في ما ينشب بينك وبينهم من مشاجرات ، ويقوم من مباريات تعيير . تعال يا بني ، اريد ان اخلصك من كابوس هذا السؤال ، بل اريد ان اريح نفسي . ان خياله على وجهك يكدر صفو عيشي في النهار ويقض مضجعي في الليل . ادن مني واسمع .

* * *

منذ ثلاثين سنة كان صبي في مثل عمرك يذهب الى المدرسة كل يوم كما تذهب انت . ولكن السيارة لم تكن تأتي الى البيت في الصباح لتحمله اليها ، ولم تكن تأتي في المساء لتعود به منها . وكانت المدرسة بعيدة عن البيت مسافة ساعة او اكثر يقطعها الصبي مشياً على قدميه مرتين في النهار ، متمنطقاً بمحفظة من القماش خاطتها له امه ، يضع في احدى شقتيها كتبه ودفاتره ، وفي الشقة الاخرى غداءه : رغيفاً محشواً بطبيخ يابس ، او بيضة مسلوقة ، وبضع حبات من الزيتون . تحت المطر والثلج ، وفي الشمس اللاهبة المحرقة كان يذهب كل صباح ويعود كل مساء ، ما يذكر انه مرض قط – لم يكن المرض من حقوق التلاميذ في ذلك العهد – ولا تغيب لعذر من الاعذار . وكان الصبي قويا شجاعاً ، لا يبالي المشي في الزمهرير ولا في القيظ ، ولا يشكو قلة الطعام ورداءته . كلا لقد كان راضياً بهذا كله مطمئناً اليه . أليس هو واحداً من عشرات امثاله ؟ وانما كان يقلقه ويملأ قلبه جزعاً الوقفة امام المعلم حين يجيء دوره لتسميع الامثولة او تقديم الفرض .

كانت المدرسة غرفة حقيرة ملاصقة لكنيسة القرية ، تكتظ فيها مقاعد محطمة قذرة ، ملطخة بانواع الحبر ، حافلة باسماء وتواريخ والف شكل وشكل من اشكال الحيوانات يحفرها الاولاد على قدر ما أوتي حافرهم من موهبة في الفن ، او حدة في السكين . منها ما هو حديث ، ومنها ما هو من آثار آبائهم ، ولكن المعلم لم يكن خبيراً بعهود الآثار الفنية ولا مهتما لذلك على الارجح ، وكثيراً ما اخذ – في ازمات هياجه – بريئاً منهم بجريمة من فعل جده قبل ستين سنة .

وكان بالقرب من المدرسة حرج للوقف . فاذا اقبل المعلم في الصباح نادى ثلاثة او اربعة من تلاميذه ، وامرهم بالانطلاق الى ذلك الحرج وتأمين استهلاك النهار : حزمة من القضبان يوصيهم باختيارها مستقيمة ، طويلة ، لينة . فيسحبون سكاكينهم من اوساطهم ويطوفون بين الادغال يتفحصون القضبان ، ويجربونها عطفاً على امهاتها يميناً وشمالاً . يناجونها ناظرين اليها والى اكفهم ، متسائلين عن نصيبهم منها .

وقد يتمازحون بها فيلوح واحدهم لآخر بقضيب عظيم ويصيح .

– حنا . استحليت لك هذا .

* * *

في ذلك المساء كانت امثولة الصبي واترابه في الكتاب الجديد ، الذي باعهم اياه المعلم قبل يوم ، صعبة جداً . فلما عاد الى البيت قعد في فراشه ، يحاول تهجئتها وحفظها . ولكن الكتاب لم يكن جديداً بغلافه وصوره فقط ، بل كان جديداً باسلوبه ايضاً . فأشكل الامر على الصبي وجعل ينظر الى الحروف والكلمات فما يدور له شيء . وسرعان ما طمس التهيب على ذهنه ، فاذا الكتاب طلسم هائل ، والحروف

والكلمات فيه رسوم سحرية ، كأنه لم يقرأ من قبل حرفاً ولم يتهجأ كلمة . وزالت فرحته به ، واستحالت الى كره لا حد له . وربما عنّ له ان يمزقه باظافره ، او ان يلقيه طعاماً للنار ، لولا انه يعرف ان لا فائدة من ذلك ، فالكتاب لا مناص منه . وقد اعطاه ابوه ثمنه بعد الف جهد ومنة ، فكيف اذا طلب منه بشلكاً آخر ؟ لا ، لا . ثم ان الصبي رضي الخلق ليس يحسن به عمل كهذا ، وهو معروف في المدرسة وفي البيت بالنظافة والترتيب والحرص على الاشياء . وهذا كراسه الاول حفظه من الدفة الى الدفة ، وما يزال لمّاعاً كما اشتراه . ولما فرغ منه خبأه ابوه في الخزانة لاخوته الصغار ، من ولد منهم ومن هو في الطريق ، يتداولونه حينما يكبرون واحداً بعد واحد .

وانقلب الصبي الى امثولته يعالجها من جديد ، ويحاول ان يلوك الحروف بمثل ما يتذكر ان المعلم كان يدير بها لسانه عندما لقّنهم اياها . ولكنه لم يلبث ان ادرك انه لا يتذكر شيئاً ، فاسودّت الدنيا في عينيه وحط العجز على صدره ثقيلاً كالبلاطة . وكان القنديل الزيتي يرسل انواره الشاحبة على الحيطان ويرسم في الزوايا اشباحاً مخيفة ، وقد نام الجميع في فرشهم المبسوطة على الارض حواليه ، في تلك الغرفة الصغيرة الواطئة ، وضاق جوّها بانفاسهم وغطيط ابيه . اما العون على امره من احد فلم يكن يخطر له ببال ، فوالداه يجهلان القراءة ، واخوته الصغار لم يذهبوا بعد الى المدرسة . فأخذ ينظر اليهم في نومهم الهادىء ، ولاول مرة في حياته عرف معنى الحسد . ما اسعدهم ، لا امثولات عليهم حفظها ، ولا فروض يطلب منهم كتابتها . واحس الصبي نفسه وحيداً في هذا البيت ، غريباً ، شقياً ، اشقى ما يكون الناس . وغمرته موجة من اليأس انخل لها قلبه وذاب كما تذوب الملحة . تمثلت له مأساة غد بافظع صورها . المعلم يناديه بصوته الراعد ان « تعال سمّع امثولتك ! » فيدنو بخطى بطيئة مرتبكة ، ويقف على قيد شبرين من المكتب ، والمعلم يقحم المكتب ببطنه ، ويثب اليه من فوقه حتى لتضرب انفاسه وجه الصبي :

— ابدأ !

فيرتجف الكتاب في يديه وتخور قواه ، ويحاول ان يقول شيئاً فيتلعثم ولا تطيعه شفتاه . وحينئذ تدق الساعة الرهيبة فيرفع المعلم قضيبه وينزل لملاقاته :

— افتح يدك !

لا ، لا ! لقد ذاق الصبي ذلك من قبل ورأى رفاقه يذوقونه ، وهو غير قادر على احتماله مرة اخرى . ان كفيه لتلتهبان الآن لمجرد الذكرى ، فيخرجهما من تحت اللحاف ويرمقهما بحنان اطلع الدمع الى عينيه . ثم حانت منه التفاتة الى الحائط ، فطلعت بوجهه « سيدة النجاة » معلقة فوق رأس ابيه ، وقد انعكس النور على زجاجها وابرز ابتسامتها الوديعة . فثنى عنقه وجد دقيقة طويلة ينظر اليها . ثم خطر له خاطر عبقري . فانسل من فراشه ودنا من فراش ابيه قبالة الصورة وهم بالركوع . ثم ادرك انه لا يزال بعيداً عنها لا يستطيع ان يمسّ لها بسره . فتلمس كرسياً واعتلاه متقوساً فوق رأس ابيه ونزع الصورة من موضعها برفق لئلا يوقظ احداً . وعاد بها الى فراشه فاركزها على المخدة . أليست سيدة النجاة تصنع العجائب كل يوم ؟ وأي شيء سيطلب منها الصبي ؟ لقد شفيت المرضى ، واقامت المقعدين ، وجعلت العميان يبصرون ، وانزلت الامطار في تموز . فكيف لا تستجيبه الى اهون الهينات ؟

وجثا على ركبتيه واخذ يدق صدره بخشوع فاجع ويتمتم :

— يا سيدة النجاة . وحياتك يا سيدة النجاة ! مرة واحدة في العمر . . (وانحنى حتى لامست شفتاه الصورة ، وكانت الدموع تسبقه الى الزجاج الاملس البارد ، فيأخذها بقبلاته) لا تقولي لي : لا . انت قادرة على كل شيء . وحياتك ! وحياتك ! وحياتك يا سيدة النجاة . مري لا يطلع الصباح غداً !

* * *

ونام تلك الليلة نوماً هنيئاً قل ان ذاقه في لياليه السابقات . وشد ما كانت دهشته اذ فتح عينيه فرأى الصباح قد طلع ، وامه تستحثه حسب عادتها ليبكر الى المدرسة قبل ان يمر المعلم . وكانت طريق المعلم على بيت الصبي وبيوت الكثيرين من رفاقه . فاذا طلع الصباح من كل يوم مشى من اول القرية الى آخرها ، يقف عند كل بيت متفقداً تلميذه فيه ، ما ينسى احداً . وكثيراً ما عرج على بيت الصبي واخذه من اذنه لا لكسل يتكاسله ولا لبطء يتباطؤه

بل مبالغة منه في الحرص، ومنّاً على اهل تربطهم به صلة مبهمة من النسب .

ووقع نظر الام على صورة سيدة النجاة — عليها السلام — فسألت الصبي عن الامر فعقد حاجبيه واشاح بوجهه يغمغم . لقد كان يحوك في رأسه شيئاً جديداً . فرفعتها الى شفتيها ثم علقتها مكانها على الحائط .

— امي هل مرّ المعلم ؟

وخفق قلبه لدى جوابها « لا » خفقة سرور . وتلمس ثيابه فادخل نفسه فيها عجلاً وضرب بيده على محفظته ووثب يريد الخروج .

— غداءك، خذ غداءك يا ابني . ألا تريد ان تغسل وجهك ؟

ولكنه نتر الزاد من يدها وأطلق ساقيه للريح . يجب ان يصل قبل المعلم بربع ساعة على الاقل، ليتم له ما يريد .

كان اكثر الاولاد قد اجتمعوا في الساحة ينتظرون جرس الدخول . فشقهم الصبي لاهثاً من تعبه واعتلى درَج الكنيسة فرفع ذراعه في الفضاء وصاح :

— ابشركم يا اولاد ! اليوم فرصة كل النهار . المعلم ماتت جدته ...

وقذف محفظته في الهواء . وكان التلاميذ يعرفون ما بين المعلم والصبي من قربى، وقد سبق للمعلم ان كلفه ابلاغهم اشياء كثيرة . فتعالت الهتافات، وبثل لمح البصر جنّ جنون الساحة، فالقبعات تتطاير، تتبعها الكتب والدفاتر، والارجل تشتبك بالايدي في زحمة التراكض والصراع، والضجيج يرجّ الفضاء ويتجاوب صداه في ارجاء الكنيسة . فيه من العواء والزئير والمواء والحمحمة، والزغردة والولولة، فيه من الاصوات كل ما يفتق للاطفال في فرحتهم العنامى وعيدهم الاكبر .

* * *

اوشكت الحكاية ان تنتهي، يا بني . ولقد فكر الصبي بكل شيء الا بتلك النهاية، او هو على الارجح لم يعد يفكر بشيء . بعد نصف ساعة وصل المعلم فلم يجد على باب مدرسته الا طفلين لا عهد لهما بالحقول، ولم يتعرفا بعد الى نبش الاعشاش، وتعمير البيوت بالحجارة، وحفر الاقنية في السواقي . فسألهما عن الامر فأخبراه . فانطلق كالمجنون يبحث عن الصبي ويقسم بينه وبين السماء انه قاتله ! ولكنه لم يجد في الاهتداء اليه كبير مشقة . فبعد ان افرنقع التلاميذ وخلت الساحة كبرت على الصبي كذبته، وطارت من رأسه مشاريع الالعاب التي سواها فيه طول الطريق، فجعل يمشي على غير هدى، يجرجر يأساً من الدنيا والاخرة لا حد له، واستسلاماً الى القضاء اشبه شي بالجبل او هو الجبل بعينه . ولما رأى المعلم يركض اليه شاكلا قنبازه هائجاً



كالوحش، لم يختبىء ولم يحاول الهرب . وجمد مكانه يلاقيه بوجه لا يتحرك فيه عرق . وحينما اهوى المعلم على رأسه بعصاه الضخمة خيل الى الصبي ان العصا هي التي ستنكسر ...

اما ما حدث بعد ذلك فهو لا يعي شيئاً منه . كل ما يذكر انه افاق اذ افاق فوجد نفسه في الفراش ثقيل الرأس، مغطى نصف الوجه بالرباطات، ومكان عينه اليمنى جمرة لاهبة . فيرفع يده يريد ان يلتمها فوق الضمادة، ويصرخ من وجعه، فتمسكه امه وتنهال عليه لثماً وبكاء، ولا تجد لمصابها عزاء .

* * *

انتهت الحكاية يا بني . قصصتها عليك لا لاجيبك على سؤالك الاخرس فقط، بل لاهون عليك ما قد تلاقيه في طلبك العلم المعلم، ولافتح عينيك على ما أنت فيه من نعمة في البيت والمدرسة، والعصر، اذ تقابل بينك اليوم وبين ذلك الصبي بالامس . أأنا في حاجة ان اقول لك من هو ... لقد عرفته، هو ابوك .

توفيق يوسف عواد

حول طرفة «اسامة» ... اليكم معاشر الكتاب [1]

بقلم صلاح الاسير

عندما دوّى صوت «اسامة» في العدد الاخير من «الاديب»، اقبلت بالهفة اقرأ السائغ الانيق والفكر السمح في هذه الحروف السود: فاستهواني اخلاص ينبض به الحرف وجرأة تتبرج للحق ومداد يسيل من اجل الرسالة ... واشهد انني لم افرغ ولن افرغ من تلك الطرفة قط وعسير انفلاتي من جوها الممتع.

يدوي صوت «اسامة» والمشادة في طراوة المحاولة حول تحديد رسالة الكتّاب في عصرنا هذا، وهل ينبغي لها الصفاء ام الاضطراب والمجادلة والدفاع والكر والفر. ويشهد الجيل الطالع بشائر حركة تتلفت نحو النور على اقلام: طه حسين، توفيق الحكيم، العقاد، زكي مبارك. ويعود بي الحنين الساعة، الى واحات الصيف الاخير، التي ازدهت بالدكتور طه حسين، يوم جاء لبنان، فخفقت وجوه الذرى، واحس الجبل الحالم حدثاً وادعاً رفيقاً. ولكن اقامة الرجل لم تطل، وكان شأنها شأن العرار في عشايا نجد.

وعندي ان للحرب الحائرة على ذلك الصيف يداً لا تجحد، فالدكتور طه حسين ذكر لبنان في هواجر الكنانة وبينه وبين الالب والفوج والبيرينه بحار من الذعر والموت فوق الماء وفي جيوب الاعماق. وكان اللقاء على مائدة «اسامة». كنا حول صاحب «الايام» هالة قزحية الالوان والاضواء، وكنت حريصاً على ان اظل بالقرب منه، احدق في هذه الشعلة التي اضاءت وتضيء، احدق في هذا اللهب الذي اتى على الهشيم. وجعلت احدثه حديث فنه وادبه ونفسه، فانبسطت اساريره، وهدر صوته، ومال مجلسنا على النغمات النوافل من فرعونية وعربية، وواجب اكبار كل اثر خالد، في جو كله دعة وصفاء وغبطة. ولكني مولع ابداً بالحركة ولو افضت الى غير الذي ينبغي لمثل مجلسنا هذا.. ولذلك ألقيت في البئر حجراً فارتج الماء... ذكرت له توفيق الحكيم، ورأيت الى وجهه كيف يتخذ قسمات مستفهمة، وخيل الي في تلك الهنيهة ان شفتي صاحب «الايام» ستنشقان عن هذه الكلمات:

— ما لنا ولتوفيق.. انه عرس في خاطر مأتم...

وطال صمتنا، وفي المجلس زوجة الكاتب العظيم وملهمته المبهورة، ترفل بالظرف والنكتة البارعة والخطرات النواعم. واحسب انها احست اثر كلماتي في هذا الرجل الذي رأيته اذا تحدث الى زوجته استحال طفلا قريراً هانئاً.. وكانت لنا تنقلات كثيرة، عاد الدكتور طه على اثرها الى حديث توفيق الحكيم واني لاذكر هذه الكلمات — واسمح لنفسي بنشرها —

— توفيق... ذو اطوار غريبة... يعيش ويكتب كما يحلو له... والله، لقد اخذتني ساعتئذ حيرة الواثق، وانا عاصرت ادوار الصداقة التي ازدان بها الادب العربي غب اقتران المطبعة بـ «اهل الكهف» يوم سجل الدكتور طه ظهور الحوار الحق في الادب العربي لاول مرة على يد توفيق الحكيم. وكم اكبرت توفيقاً يومئذ. انه ردّ ظهور الحوار الى كاتب العربية الاعظم «الجاحظ» ولكن طه أصر على رأيه وكافح دونه. وتفتحت عيون المشتغلين بالادب على الرسائل المتبادلة بين صاحب «الايام» وصاحب «اهل الكهف» التي طفا على روائها جمال الولاء والثقة، فخرجت على مألوف الزلفى، ومعروف المديح.

اخالني استطردت، ولكني احب هنا التأكيد، فالمشادة بين الرجلين حدث جدير بان يدفع بهما الى آفاق بعيدة، فانا لا اومن بالصفاء بمعناه الاشيع، فثمة الوان نفسية تختلف في الاغوار وتتقلب على جوهر

---

(1) راجع «الاديب» عدد حزيران المنصرم ص ١٦

النفس، وتنضح بالطرائف الشخصية . والادب العربي كان خلواً من المشادة بمعناها الحق . ذلك انه كان في اكثر الاحايين سائراً في ركاب الخليفة والحاشية ... كان في اكثر عصوره بعيداً عن الاخلاص ، هذا الينبوع المسلسل الدافق الذي به تخضوضر صحراء الامة .

اكاد ، وانا اقرأ مقال « اسامة » أصلي – وفي مثل يقين المؤمن – في هيكل الحروف التي حفظت لنا صور المخاض الفكري لجميع المدنيات . ونحن اليوم ككتّاب نواجه الماضي والحاضر والمستقبل وجهاً لوجه ، نحن نواجه عصراً فريداً تربطنا به حياتنا العافية وحاجاتنا الى العيش التي تضطرنا الى حرث التاريخ والحصول على غذاء الاقلام . ذلك ان للقلم ضرورياته ، فهو ينشد المعرفة ويولدها ويأبى قبولها على علاتها . وهو قد يرتبك حين تواجهه حقائق متعددة . والذين سبقونا الى هذه الدنيا منذ عهد الاغريق رأوا في النقوش الحجرية دليلا على تطور الاحياء ، فكانت تلك الحقائق نقوشاً متعددة لم يسهل على القلم الطفل هضمها يومئذ . اترانا اليوم والادب العربي له اصول باقية ، والمدنيات المتعاقبة تنفحنا باغنى بنات الفكر ، نقف في حيرة الاولين ، على ضفة السؤال .

ادبان في الامة ، هما ابداً وجهها الواضح ، وكتابها المبين . لذلك آخذ على « اسامة » محاولته توجيه كتّاب الخاصة الى الاهتمام بالجماعات . ذلك ان التوجيه في الادب وليد وعي بديهي في خصائص الامة ، والتوجيه الناصح نوع من النماذج الذي لا يكتسب روح الادب، فنحن اليوم احوج ما نكون الى ادب خالق تتلاقى فيه همومنا وآلامنا وافراحنا وتاريخنا وما نؤمل من خير كثير في دنيانا العربية . ادبان في الامة ، ادب العامة وأدب الخاصة ، ادب العقل الواعي والثقافة الشاملة ، وادب القلب الوادع والعاطفة النبيلة . ولا اعني ان ثمة حدوداً تفصل بين الادبين ، فهما يتلاقيان على اقلام المخلصين في كل يوم. وسيأتي يوم نخلص فيه من عبودية اللفظ ، يوم نحمل اللفظة العبء الذي تنهض به وتزدهي ... ونحن بعد في المضطرب اللاغط من حياتنا العامة . الادب مرآة الامة ، وانا اقول لاسامة ان الادب العربي سيحمد قريباً المغبة بعد هذا المخاض الذي نرجو ان لا يطول.

اما ادب السجية – الاسلوب الحي الممتنع الذي تدعمه المعاني والحقائق – فهو محك القادرين والبلغاء، وهو يوم يقوم على القيم من الجوهر والصفاء والمعرفة، قبس من نور الامة ، وومضة من نسيم الجنة ينير القلوب . ولكن يكون لنا هذا الادب، قبل ان نحطم قيود الاجتماع المفروضة، ونحتفظ بنفوسنا على بصيرة وهدى .

أين المرأة ؟.. وهل يستطيع الكاتب ان يعيش في جو لا امرأة فيه . اين المرأة التي تفهم رسالة الكاتب ، فتفرش له العبير والسندس ، وتسكب عليه انداء العاطفة ، وتسدد خطى فكره ، وتكون رجعاً مخلصاً لهاتف ادبه . لا مومياء محنطة ، تروح وتجيء ، همها لا يتعدى اعداد الطعام واختيار الازياء والثرثرة المخضبة بالتوافه . انا اومن بسحر المرأة ايمان « اسامة » برسالة الكتّاب . انا اومن بهما معاً ، اومن بقدرتها على خلق ادب بارع وفن رفيع وشعر ابريز ، وقومية عاقلة ... ولكن على قلم الرجل!..

فيا اسامة !.. لقد ابلى الادب في بناء الرواية الازلية بلاء حسناً، والفصل الذي نشهد اليوم ، وليد كتاب لاسميه ، فهو كتاب مجرم اسمه على كل شفة ، كتبه طاغية عاش دون امرأة . فاذا كان الادب هو الملاك الشيطان الذي اشقى واسعد قد استطاع ان يخرج من جميع عتمات العصور حياً كبيراً ، أليس في قدرته اليوم ان يهمس في اذن ابن سناء الملك القائل :

ولي قلم في انملي ان هززته ... فما ضرني ان لا اهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فأن صليل المشرفي له صدى

– يا ابن سناء الملك ، رحمات الله عليك !.. وابق سهام اسامة!..

صلاح الاسير

السجن

◆

يا صاحب الحشر قلّبني على النار ... حتى تذوب من التحريق اوزاري

بي معدن الشر ممزوج بكل هوى ... جم المناكر موّاج باكدار

لكنّ بي ذرة للخير حائرة ... حبيسة تتمنى عيش احرار

لما فجعت اتت قلبي معزية ... وحين أخطأت وافتني باعذار

صاحت فاسمعتها في الكأس ناهية ... وما ظننت تداني بيت خمّار

متى تحرق جسمي ذاب شائبه ... وصرت جوهرة في كفّ عيّار

منيّ انطلقتُ فلا قيد ولا ضجر ... ورحت اتشر جنحي بين اطيار

روحي مضت في شغاف الجو شاردة ... كأنها في علاها الكوكب الساري

فطفت في عالم مدّت سماوته ... على رواق تهاويل وانوار

فقلت يا ويح نفسي كنت متسخاً ... فكيف اسلك جواً بين أطهار

من لي بجسمي الذي قد كنت اسكنه ... لكي أحسّ به في هذه الدار

وعدت للارض آثامي تَنَظّرُني ... فجئن ينفضن عني عبء أسفاري

جمعن شمليَ بالدنيا وباطلها ... وعاودتني فيها كلّ اوطاري

دمشق — زكي المحاسني

خرافات لبنانية

بقلم شفيق طبارة

اريد قبل ان اتغلغل في شعاب هذا المقال ان اقول في هذا الباب شيئاً عاماً ذلك ان لكل امة خرافات وان للبنانيين كغيرهم من الامم خرافات ورثوا معظمها عن الامم الخالية وما برحت شائعة في يومنا فاصبحت دستوراً عند العوام واني اكتفي هنا بايراد ما عثرت على معرفته منها وارجو ان يجد القارىء فيها متاعاً ولذة يرفهان عنه بعض ما يجد من ثقل هذه الايام .

●

يعتقد عوام اللبنانيين ان للعين تأثيراً خفياً ويقولون ان فئة من الناس تكاد لا ترى شيئاً فتعجب به حتى تصيبه نائبة من النوائب وتجنباً لهذا يرددون عبارة « يخزي العين » . ويذهب بعضهم الى ابعد من هذا فيجعلون في عنق الصبي او باطراف ثيابه تمائم او خرزة زرقاء لرد العين عنه . ومنهم من يعلق فوق باب منزله حذاء عتيقاً او نعل فرس وكان العرب في الجاهلية يعلقون على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفاً من النظرة . ونظير هذا الوهم ان الحبلى اذا اشتهت طعاما ولم تأكل منه ظهرت صورة ما تشتهيه على بدن مولودها ويسمونها « الشهوة » وهذا مذهب طبي وعلماء الطب لا يؤمنون به لانه يخالف اصول العلم وجوهر الكائنات .

وكما كان العرب يتطيرون من نعيب الغراب اذا صاح صيحة واحدة فاذا ثنى تفاءلوا به كذلك اللبنانيون يعتقدون ان طيران غراب واحد نحس اما طيران اثنين فسعد . ومثلما كان القدماء يفزعون الى الكهان والعرافين في تعرف الحوادث المستقبلة والامور الماضية نرى نفراً منا يتكسبون بطالعة علم الغيب وعمل الطلاسم .

ومن اوهام اللبنانيين ان الرجل اذا اكل السمك وشرب اللبن يصيبه مس من الجن . وقريب من هذه الخرافة ما ذكره ابو عثمان الجاحظ انه جمع بين السمك واللبن ففلج لساعته . وان كل انسان يقلم اظافره يوم اربعاء ويرميها على الارض يدركه الفقر او الموت . وان في لبس نعل اليمنى قبل لبس نعل اليسرى علامة الخيبة والحرمان ويزعمون ان في اشتباك اليد اليمنى باليد اليسرى معاً يعقد الامر الذي يدور البحث فيه ويستدل بعضهم من حك الكف اليسرى على ان صاحبها سيقبض نقوداً . واذا دفن رأس كلب في فناء الدار ثارت العداوة والبغضاء بين اهل الحي . ويرى آخرون لبس القميص مقلوبا دافعاً للافلات . والاصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال . وقديماً كان العرب اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قميصه فيهتدي فيما يزعمون .

ومن مذاهب اللبنانيين الخرافية انه اذا سقط رجيع طائر على شخص انبأ برزق يصيبه . واذا زار ثقيل منزلا وابطأ قلبوا سراً حذاءه الذي بباب الدار او يضعون تحت الحذاء ملحاً ويزعمون ان ذلك اسرع لذهابه وكانت نساء العرب اذا غاب عنهن من يحببنه يأخذن تراباً من موضع قدمه ويزعمون ان ذلك اسرع لرجوعه وقالت واحدة منهن :

اخذت تراباً من مواطىء رجله　　　غداة غد كيما يؤوب مسلما

ومن تخيلات العوام ان لا تكنس الدار ليلا مخافة ان يموت بعض اهلها وان كسر الكوب الزجاجي ينبىء بزوال تعاسة كانت قريبة الحدوث فتعوضت . ومن عادتهم اذا رحل الضيف عنهم واحبوا ان يعود ذروا خلفه ماء . وكان العرب عندما يريدون ان لا يعود ضيفهم يكسرون شيئاً من الاواني وفي ذلك قال شاعرهم :

كسرنا القدر بعد ابي اسوج　　　فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال بعضهم :

ولا تكسر الكيزان في اثر ضيفنا　　　ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

واذا اختلت عين احد العوام بيننا توقع حادثاً محزناً يستدعي استدرار الدموع وكان العرب اذا اختلجت عين الرجل منهم توقع قدوم غائب . قال شاعرهم :　اذا اختلجت عيني تيقنت انني　　　اراك وان كان المزار بعيدا

ويتفاءل اللبنانيون اذا اصطبحوا بقطيع من الغنم . ومنهم من يرى عكس هذا فيتطير اذا وقعت عينه في الصباح على قطيع من الماعز او على عجوز شمطاء او على اعور او على جنازة . ومن اللبنانيين من يرى في نباح الكلب نباحاً كعواء الذئب نذير شؤم . ويتعوذون بالله من نعيق البوم وهو يشير في ظنهم الى موت كبير من علية القدم . ومنهم من يرى اذا صاحت الدجاجة صياح الديك انذاراً بخطر ويتشاءمون بغير ذلك كمرور حيوان وقطعه طريق شخص سائر او انهيال الملح على المائدة او القهوة على الركبتين . ويزعمون ان دخول

فراشة الى بيت يخبر بشيء ويسمونها (بشورة) فان كانت بيضاء بشرت بخير والا فهي نذير سوء . واذا غسلت القطة وجهها بلعابها توقعنا قدوم زائر . ومن تخيلات المزارعين وخرافاتهم ان الشجرة لا يكثر حملها الا اذا زرعت في ابان انتقاص القمر وانسلاخ الشهر . ومن عادتهم اذا لم تعقد الشجرة ثمراً ان يعمدوا الى خرقة من ثوب امرأة ولود فيعقدوها بجذعها رجاء ان تثمر . ويتطيرون من السنة الكبيس التي يكون فيها شباط تسعة وعشرين يوماً لانها تلحق الاذى بمواشيهم ويذهب آخرون الى ان هنالك اياماً معينة لا يحسن بالمرء ان يلتي فيها عملا لانها منحوسة وعلى هذا يتحاشون السفر يوم الاربعاء . واغرب من ذلك كله انهم عندما يشيحون القز لتنسج فيالجها (شرانقها) يمتنعون عن طبخ السوائل في بيوتهم لئلا تميع الشرانق ويلحقها ضرر عظيم . ومن لطيف ما علمت ان المزارعين يمسكون في تلك الاثناء عن حلق لحاهم ويعرضونها لئلا يقع دود القز كأن الشرانق تغزل في اللحى لا في العيدان ...

ويؤمن العوام بالاحلام ويشتغلون في تأويلها . ومن مذاهبهم ان أكل الصعتر يزيد في قوتي الحافظة والذاكرة . ويرى بعضهم اذا عطس الطفل في ليلة عيد الغطاس كان ذلك دليلا على زيادة سنة في عمره فكل عطسة بسنة ... تفرح لها الام وتقول له : صحة !!

ومن خرافاتهم الغريبة في الطب والمداواة ان الرجل منهم اذا ظهرت على جفنه بثرة يشحذ من فرن الحي او من سبع نساء فيبرأ ولذلك سموها (الشحاذ) واشترطوا ان يطعم ما يشحذ الى كلب اسود . ويداوون (الحازوقة) باثارة اعصاب المصاب بها كان يقال له : (سرقت سرقت) مما يوغر صدره . ويرون في دوي الاذن اليسرى علامة على انك تذكر محموداً وفي اليمنى مذموماً . ومن ذلك يسألونك سؤال العارفين : اما طنت اذنك ساعة كذا ؟ فقد كنا نتحدث عنك . ويتشاءمون اذا انقلب الحذاء على قفاه في باب الدار ويستدلون من سقوط صورة معلقة على قرب انحطاط صاحبها . ومن مذاهبهم ان يسرقوا من زاد المسافر الذي يحبون رجوعه تفاؤلا بالرجوع . ولا يطأون كسر الخبز وقطع الزجاج والفحم وقشور البيض لئلا يصيبهم مكروه ..

ومن مذاهبهم في التسمية انهم يسمون اولادهم باسماء الحيوانات المفترسة كنمر وسبع وديب وذلك لاعتقادهم الراسخ ان الارواح الشريرة لا تجرؤ ان تدخل جسم من يحمل هذه الاسماء . وهم يتطيرون لرؤية الرجل الاحلط « الاحلت » ويعتقدون ان في رش الماء على شخص محبوب وتقبيله في عينيه مما يسبب فراقه . واذا مرق احد الناس بين صديقين قضى احدهما نحبه ويقولون فيما يقولون (كل طويل هبل « هجنه » وكل قصير في الارض فتنة) . وربما كان ذلك لدى البعض منهم كالقاعدة المطردة .

ويزعم بعض العوام ان من شأن ترك المقص مفتوحا ان يجلب الشر على اهل البيت وانه ينبغي ان لا يعد احدهم النجوم بأصبعه فانه اذا عدها ظهرت على يده البثور . واذا أشعلت لفافة التبغ « السيكارة » من جانب واحد فذلك دليل على ان صاحبها عاشق متيم . ومن عادتهم في الزواج ان تحمل العروس بيدها خميرة وتضرب بها الحائط اول دخولها دار العريس فان علقت علمت ان العروس ستسعد في بيت قرينها والعكس بالعكس : واذا جلست امرأة تخيط ثياب الطفل قبل ولادته وزارها ذكر فالمولود ذكر واذا زار البيت انثى فالمولود انثى واذا امرأة حبلى تثاءبت فيجب ان تستر فمها ما استطاعت والا فان الشيطان يخدل فمها ويقتل الجنين . وتمتنع النفساء عن هز السرير او الارجوحة اذا كان الطفل الرضيع خارجها لئلا يصاب بوجع الظهر . وكذلك لا يسمح العوام ان تدخل على النفساء عذراء ولا عزباء ولا حائض الا بعد اسبوع . ويزعمون ان من شرق « تشردق » بالماء اتته هدية . ومن تناول سكيناً او دبوساً من يد آخر وقعت الفرقة بينهما واذا تخطى احدهم فوق ميت فانه يموت في السنة المقبلة

ومن عادتهم عند رؤية هلال الشهر الجديد ان يعمدوا الى اول انسان يلقونه ثم ينظرون الى اول القمر ويقولون (هلك ومستهلك ويجعلك علينا شهر مبارك) وانما يفعلون ذلك تيمنا ليكون لهم في خلال الشهر حظ كامل . ويعتقدون بوجود الغيلان ويزعمون انها تسكن المقابر والخرائب وغيرها من الاماكن المنعزلة ومن عاداتهم عندما يدخل احدهم خربة ان يقول « دستور » مستأذناً او مستغفراً الجني الذي قد يوجد هناك ومنهم من يخيف بها الاولاد ويقولون انها تتراآى لهم في الليل في صور مختلفة وانها تقذف المارة بالحجارة ويروون حكايات كثيرة تستدعي الاستغراب في هذا الباب .

هذا بعض ما وعته الذاكرة من الخرافات الشائعة في مختلف الاوساط اللبنانية ولا ريب ان الخرافات تضعف وتقوى تبعاً للجهل المتسلط على الابصار فاذا شئنا ان نزيل غشاوتها عن عقول العوام فسبيلنا الى ذلك نشر نور العلم والتفكير الحر ثم الايمان الصحيح

شفيق طباره

فرنسا الحرة في غرفة مدرس انكليزي

بعد ان صار مصير المدنية متوقفاً على مقدار الحلفاء لبلوغ اهدافهم المشتركة ، تتوالى علينا كل يوم آيات الاخاء والتآلف ، وها نحن ننشر قطعة مخلصة تحسر عن حب استاذ انكليزي وتلاميذه لفرنسا ساعة استقبلوا شاباً فرنسياً . »

●

يا صديقي الفرنسي .

هيا معي نقض بضع دقائق في غرفة الدرس . اليك بهذا الكرسي ، اجلس عليه تحت مخطط فرنسا .

كان من عادتنا في العام المنصرم ، لمتابعة المعركة الهائلة التي دارت رحاها على ارض وطنك ، ان نتطلع ابداً الى اعلام صغيرة مثلثة الالوان . هذه الاعلام نحتفظ بها ونحرص عليها ، وفي يوم قد يكون قريباً سنعود بهذه الاعلام،ولكن في هذه المرة نسجل باخراجها مراحل تحرير وطنك .

انك لترى هذا الاطار ، فوق الموقدة . انك عرفته ولا ريب ، هذا الذي يحضن رسم الجنرال دي غول . لقد تفضل باهدائه لنا ممهوراً بتوقيعه الكريم ، وانني وددت الساعة لو كنت معنا لترى بنفسك غبطة تلامذتي يوم اتيت اليهم برسم زعيمك .

وانك لترى ايضا هنا بالقرب منك قطعة صغيرة من شريط مثلث الالوان تنشق عنها صفحات هذا الكتاب . ان لهذه الشريطة حكاية . عند ابتداء الحرب جرح بحار فرنسي في مركبه في (سانت فاليري) جراحاً بالغة . فحمله رفاقه الى انكلترا وفي الطريق انقضت طائرات العدو عليهم مرات عديدة ، وفي مستشفى انكليزي ، مات البحار المسكين بعيداً عن رفاقه . ولقد رافقت مع مئات من مواطني مأتمه الفاجع . كان على نعشه باقة زهور عادية وشريطة مثلثة الالوان ، ومن هذه الشريطة احتفظت بالقطعة الصغيرة التي تراها هنا وتتأملها بحزن ، اكباراً لجميع الذين ماتوا من اجل فرنسا .

ومن اجلك ، تلامذتي واقفون ، فاسمح لي بان اوجه اليهم كلماتي :

« يا ابنائي لن يتاح لكم في كل يوم السرور باستقبال فرنسي بينكم . ومهما كنتم في طراوة العمر فليس بينكم واحد فرد لا يفرق بين وطن هذا الحليف وبين قبضة الخونة التي كانت فرنسا اول ضحاياها .

« في هذه الساعة وانا اتكلم فيكم ، يتقدم اباؤكم بتقريب ارواحهم لانقاذ الودائع والقيم التي لا ينهض شعب حر بدونها . ان فرنسا هي التي عرفتنا بها وعلمتنا كيف نحبها : حرية ، مساواة ، اخاء .

اننا نرد بعض اليد التي لفرنسا علينا لتحريرها من عبودية جانية . وعبر المانش ارى يداً ممدودة نحونا . اننا سنلمس هذه اليد وسنصافحها . والان وانا احس رغبتكم الملحفة ، آذن لكم بان تهتفوا معي : « عاشت فرنسا » .

« معربة عن مجلة فرانس اوربان »

الحركة الفكرية في اليونان

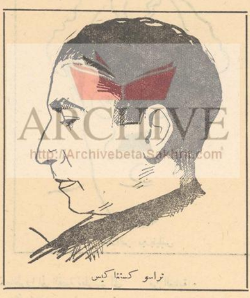
ليست الحياة الادبية شيئاً جديداً في اليونان الحديثة . فاليونان لم تقطع الصلة بين حاضرها وماضيها وحافظت اللغة اليونانية على جوهرها فلم تسلك مسلك اللغة اللاتينية التي صارت الى لغات مختلفة هذا الى ان المسيحية التي تأصلت في الدولة لم تنتزع من الذين يمارسونها الفكرة القائلة بأن الجمال فوق السلوك ، فالدين بقي في بيزنطية وبعدها ميدان اللاهوتيين والرهبان دون سواهم ، والكنيسة الارثوذكسية بقيت ، في ظل الغزاة على اختلافهم ، متمسكة بالشعور الوطني اكثر منها بالشعور الديني . وقد لا نخطىء اذا قلنا ان الدين لا يمثل اي دور في تطور الافكار في اليونان .

وغني عن البيان ان الادب اليوناني الحديث هو استمرار التقاليد التي عاشت في قلب الحضارة البيزنطية وتمركزت في كريت والقسطنطينية من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر ، وعرفت في القرن التاسع عشر نهضتين ، نهضة الجزر اليونانية في مستهل القرن ونهضة اثينا فيما بعد . وهاتان النهضتان دمغتا الادب اليوناني بطابع وطني . وجاءت الحرب الكبرى فنشأ عنها اتجاهان في الادب يحمل لواءهما المخضرمون من جهة والشباب من جهة اخرى .

وكانت القضية المطروحة على بساط البحث ، قبل الحرب ، انشاء نثر باللغة الحية ، فالشعر كان من زمن طويل يستخدم اللغة الشعبية او لغة العامة . على ان جان بسيكاري اثبت في مؤلفاته اللغوية ان اللغة العامية هي وارثة اللغة القديمة وانها قادرة على تأدية جميع الافكار .

وسرعان ما اعتنق الشاعر كوستيس بلاماس مذهب بسيكاري . ويذهب بلاماس الى ان الشعر ديانة آلهتها الجمال وكاهنها الشاعر وانه ليس على الشاعر ان يكون الناطق بلسان الشعب بل عليه ان يشرك الناس في عبادة قائمة على مراتب في القيم اللازمة لعظمة الحضارة . وتمتاز مؤلفات بلاماس، على تنوعها ، بالوحدة فقصائده الاولى « اغاني وطني » و « عينا روحي » و « الضريح » تدل كلها على ان الشاعر كان يجد في البحث عن مبادىء يعتنقها . وملاحمه وفي جملتها « مزمار الملك » ترينا اليونان بمثابة اطار رائع للجمال .

ولادباء الشباب الذين يكتبون نثراً ميل صريح الى الابتعاد عن ممثلي جيل قبل الحرب، ومن هؤلاء الادباء نيرفاناس وبابنطونيو وهورن وفوتيراس وكسينوبولوس . فالاول حاول بث مبادىء نيتشي في اليونان ، والثلاثة الآخرون امتازوا بدرس حياة الوضعاء والدهماء ، اما كسينوبولوس فبعد ان درس حياة الارياف في يونيا التي ولد فيها انصرف الى تصوير مختلف الطبقات اليونانية والى خوض القضايا الاجتماعية الكبرى .


ترا سو كستناكيس

وما يزال للمسرح اليوناني ممثلوه بين ادباء جيل قبل الحرب . وهؤلاء الممثلون لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة وهم هورن وكسينوبولوس وسبير وميلاس وسينادينوس وبوغريس . وبديهي ان كتاب بعد الحرب مدينون لمن تقدمهم ، على انهم كثيراً ما يفترقون عنهم بنظريات فنية لا تعدو حد الانشاء والصياغة .

والاديب اليوناني بوجه عام شاعر بانه عنصر جوهري في المجتمع ، حتى الشاعر نفسه لا يلازم العزلة عن القضايا العامة فهو لا يكتفي بالاعراب عن شواعره بل يتجاوز ذلك الى الاعراب عن شعور الامة كالناثر .

والسنوات خلت تأسست في اثينا جمعية ادبية كافأت كثيراً من المؤلفات القيمة ، وهذه الجمعية تسعى لاستدرار كرم الاغنياء لتنشيط الحياة الادبية . وفي اليونان مجلات ادبية تجمع حولها المواهب وقليلا ما تقع الواقعة بينها على نحو ما يحصل عندنا او ما كان يحصل لسنوات . .

الشعراء

تتسم المدارس الشعرية في اليونان باختلاف بيّن في منازعها ، فتجاه غنائية الشعراء ملاخرينوس وبكيس وتيللوس اغراس وسفريس والشاعرة مرتيوتيسا تقوم نظرية فرناليس الاجتماعية ، هذا الشاعر المجدد الذي ادته الواقعية الى الجمعيين الغنائية والانتقاد والى نظم ملحمة استقى مواضيعها من المنازعات الاجتماعية الحديثة .

الاقصوصة والقصة

ومما لا نزاع فيه ان اهمية الادب اليوناني الحديث تقوم في الاقصوصة والقصة ، اذ فيها تتجابه بصراحة الافكار التي من اجلها يحتدم النزاع وتتألف الصفوف .

ولا بد من الاشارة الى ان القصة والاقصوصة تميلان الى الانفصال ، فهذه الاخيرة مقتصرة على تصوير الاخلاق او الاوساط في شكل سيرة او حديث لا يخلو من اللمحة النفسية . اما الجهد الرامي الى اعطاء القصة اسمها الذاتية ، اي ليس اظهار فعل الشخص او رد فعله فحسب بل اظهار تقلب الوسط بتأثير الطبائع العاملة فيه ، فهو المهمة الكبرى التي يتولاها الجيل الحديث . وكتاب القصة ككونتوغلو وترزاكيس وفتريس وميريفيليس وكستناكيس افتتحوا عهدهم بكتابة الاقصوصة ولكنهم اختلفوا عن متقدميهم بانهم بدل ان ينظروا الى القصة نظرتهم الى اقصوصة موسعة جعلوها نوعاً من الفن قائماً بذاته .

ستراتس ميريفيليس

وهؤلاء الكتاب قسمان ، قسم يعتقد ان الفن متحد بالحياة وانه مبدأ الاصلاح الاجتماعي، وقسم يعتقد ان الفن قائم فوق الظروف الاجتماعية . فالاتجاه الاول يمثله كتاب يستقون الحادث او الفعل من تنظيم المجتمع نفسه او من وسط خارجي خلقته الظروف ، فداسكالوكيس مثلا درس في قصته « المقتلعون » ردّ فعل الفرد المنقول من وسط الى آخر . ودرس ميريفيليس وفتريس مقدرة الظروف على تبديل عقلية الافراد الذين يعيشونها . ولا نزاع في ان رائعة ميريفيليس « الحياة في القبر » هي في طليعة جميع القصص التي كتبت عن الحرب . في هذه القصة تتلاقى نفسية الاشخاص البسيطة ونفسية الاحداث العميقة كأنها صادرة عن شرائع سامية تتصرف بالقيم البشرية .

والاتجاه الثاني يمثله كونتوغلو وكستناكيس على الخصوص . فالى زمن غير بعيد كان للقصة في اليونان اشخاصها ولم يكن لها امثلتها . فجاء كستناكيس وسدّ هذا الفراغ بان خلق في اشخاص قصصه طبائع اصلية اي خصائص .

وقد اثبت الكاتب ان « المثال » الادبي لا يصدر حتماً عن السعي وراء الخوارق والنوادر بل عن الطبيعة البشرية ايضاً . وفي قصصه « الامراء » و « مرقص اوروبا » و « جنس البشر » اثبت ان الطبيعة البشرية هي اغنى جميع المصادر في الادب .

وليس ادباء اليونان من ذكرنا فحسب فهم كثيرون ، على اننا نوهنا بذكر الذين امتازوا منهم بمواهب كبيرة . وقد يدهشك في ادباء اليونان ذلك الاقبال العظيم على منابع الثقافات العالمية والتضلع ليس من الادب القديم فحسب بل من الاداب العالمية على الاطلاق . هذا الى ان معظم الروائع الغربية تنقل الى الادب اليوناني بكثير من العناية .

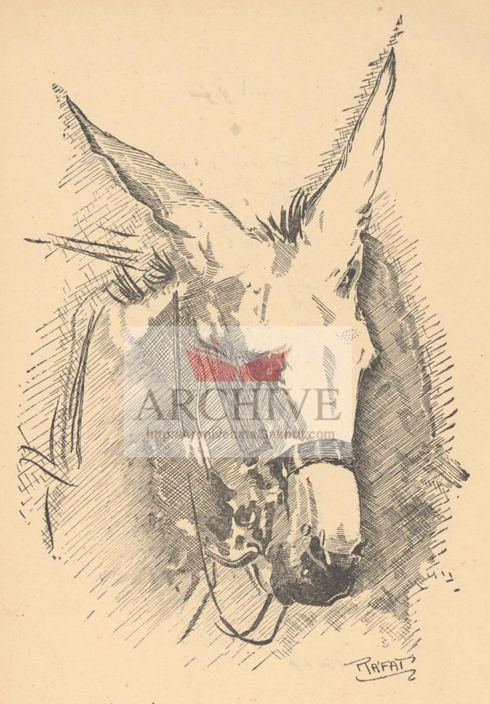
وان يكن الادب اليوناني الحديث ليس معروفاً في العالم كما يجب ان يعرف فالذنب في ذلك لا يقع على الكتاب اليونانيين الذين يقومون بجهد محمود بل يقع على جهل العالم اللغة اليونانية وعلى العدد القليل من المؤلفات اليونانية التي اتيح لها من ينقلها الى اللغات الاخرى .

ومع هذا فاليونان تحتل في الادب مكاناً مرموقاً . فالادب اليوناني الحديث مع محافظته على خصائصه يساير المجاري الفكرية الكبرى التي تقوم اساساً لهذه الحضارة .

سنونو !...

سنونو ، على الروض لاحت
خدود ، وسلّت جفونُ
ومال النسيم ، فمالت
قلوب ، ومالت عيونُ
فاطوِ وانشر ، كما تشاء ، الجناحا
واذرع الجو ، جيئةً ورواحا
وذرِ الزغردات طيباً وراحا
انت اغنية الربيع الاغنِّ
ورفيف الهوى وخفقِ التمني
غنِّ ، غنّ الشباب والزهو غنِّ
فأنى يكون الشباب
فإن الاماني تكون
ومرِّغ بطيب الاماني
الجفون ، وطيب الشباب
فإن الربيع كحلم
يمرّ مرور السحاب
يا منى الروض ، يا هناء الصباح
يوم يدنو الخريف جهم الرياح
طلّق الروض ، واختبيء بوشاحي
بين طيّاته اخضرار وظلّ
وشذا مطلق ، وفجر مطلّ
ومن الدفء ما به تستظل
الى ان يعود الربيع
الى الروض ، غض الاهاب

نقولا يسترس



نشرت بأذن من مالكها السيد وليد

عمر بن عبد العزيز

بقلم انيس النصولي

◆

نشأ عمر في المدينة وتأدب بها على أشهر اساتذتها المتضلعين بعلوم القرآن والحديث والفقه والشريعة كصالح بن كيسان وعبيد الله بن عبد الله ، ودرس العربية وتفرعاتها فأصاب منها سهما وافراً. وكان شابا ولوعاً بتزيين نفسه ، فتأنق في ملبسه وتغلبت عليه الخيلاء ، فزهى واستكبر في بعض الاحايين على الناس . قال ابن الجوزي باسناده « حدثني علي بن جزية قال : رأيته في المدينة وهو أحسن الناس لباساً ومن أطيب الناس مرحاً ومن أخيل الناس في مشيته — ص ٢٢ سيرة عمر بن عبد العزيز » . ثم لم تطل به الحال على هذا المنوال، فتراه قد خلع عنه ثوب الصلف وارتدى رداء التواضع لما أسندت اليه المناصب الادارية . وقد ولي الحجاز وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكان ذلك في ايام الوليد الاول ، فبرهن على اقتداره في تدبير الامور وتثبيت دعائم الحق ، والانتصار للضعيف ، وأوسع المجال لعقلاء المدينة وفقهائها لان ينبهوه على اغلاطه ، وان ينيروا سبيله في احقاق الحق وازهاق الباطل ، فدعا مرة عشرة نفر من علمائها وقال لهم : « اني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه وتكونون اعواناً على الحق . ان رأيتم احداً يتعدى وبلغكم عن عامل لي ظلامة ، فاحرج بالله على احد بلغه ذلك الا بلغني » .

ولم يقبل عمر بن عبد العزيز منصب الولاية على الحجاز الا بعد ان اقر له الوليد السلطة التامة ليقتص من ارباب العدوان وأهل الظلم ، وان أجبر ان لا يرفع للخزينة درهماً واحداً .

اتصف عمر بشجاعته الادبية وصراحته النادرة المثال . فكان ينتقد الاعمال التي لا تتفق والعدل ، ويسلقها بقوارص الكلام ، ولا يخاف في التنديد على من يشذون عن احكام القرآن والسنة لومة لائم ، فتألم منه بنو امية حتى ليقال انهم هم الذين دبروا الدسائس للخلاص منه . وهاك مثالا حياً على ما قدمناه : دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده ابنه ايوب وهو يومئذ ولي عهده وقد عقد له من بعده . فجاء انسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء . فقال سليمان : ما اخال النساء يرثن في العقار شيئاً . فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ! واين كتاب الله ؟ فقال : يا غلام ! اذهب فأتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب فيه ذلك . فقال عمر : لكأنك ارسلت الى المصحف؟! قال ايوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند امير المؤمنين، ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه (سيرة عمر ص ٣٨) .

وكان من الذين يقدسون الحرية الفكرية ويرون وجوب تشجيعها والمحافظة عليها . فجادل الخوارج وراسلهم وطلب اليهم ان يحجوه ويقنعوه بالبراهين ان كانوا في زعمهم ومبادئهم صادقين . روى الطبري : (كتب عمر الى بسطام بن يشكر ، وهو زعيم الخوارج في العراق ، يسأله عن سبب مخرجه فكان في كتاب عمر اليه — : بلغني انك خرجت غضباً لله ولنبيه ، ولست اولى بذلك مني . فهلم اناظرك ، فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وان كان الحق في يدك نظرنا في امرنا . ١٣٤٨ — ١٣٤٩ S 2 V 3

فجاء وفد منهم الى الشام ، فأمنهم وطيّب نفوسهم وجلس وإياهم وجهاً لوجه يتجادل معهم .

تسنم عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك ، فجمع الناس في المسجد الجامع بدمشق وصرح لهم انه اسند اليه الامر دون ان يستشيروه او يستشيروا الشعب فيه ، ولذا فهم احرار في خلع بيعته وانتخاب سواه . فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا امير المؤمنين ورضينا بك . فلما هدأت الاصوات ولم يعترض احد على ولايته الخلافة خطب خطبة العرش قال من جملتها : اوصيكم بتقوى الله ؛ واصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ؛ واكثروا ذكر الموت . اني والله لا اعطي احداً باطلاً ولا امنع احداً حقاً . يا ايها الناس ! من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . اطيعوني ما اطعت الله ؛ فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

ثم ارادت الحكومة الاحتفال بتنصيبه رسمياً كما جرت العادة ، فهيأت موكب الخلافة وهو يتألف من كبار رجال الدولة وعظمائها ، وقد يركبون وراء الخليفة على البراذين والخيل والبغال ، ولكل دابة سائس . فلما رأى تلك الابهة قال : ما هذا ؟ قالوا : موكب الخلافة . قال : دابتي اوفق لي . وركب دابته ؛ وصرف تلك الدواب ؛ ثم اقبل سائراً . فقيل : منزل الخلافة . فقال : فيه عيال ابي ايوب ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا . فأقام في منزله فرغوه . الطبري ١٣٤٥—١٣٤٤ S 2 V 3

نحن لا نرى دليلا اكبر من الذي قدمناه على ديموقراطية

عمر وشدة تواضعه واستخفافه بظاهر الحياة الفارغة . ويذكر ان جاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة فقال : تنح . . مالي ومالك؟ انما انا رجل من المسلمين . ولم يكد يستلم زمام الاحكام حتى امر بستور دار الخلافة فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وامر ببيعها وادخال اثمانها في بيت مال المسلمين . وسرح عمر حرس الخلافة وكانوا حوالي ستمائة .

قام عمر باصلاحات جمة عقب توليه الخلافة . فاصدر امراً الى قادة جيوشه في جميع الساحات والتخوم يطلب اليهم ان تكون الرحمة من شعائرهم والشفقة قبلة انظارهم . كتب عمر الى الجراح احد قادته : لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا .

والغريب ان عمر بلغت به العدالة الى حد انه امر ان لا يكسى البيت الحرام ، وان تبذل الاموال المخصصة للكسوة في سبيل الفقراء والمحتاجين . « كتبت الحجبة الى عمر ان يأمر للبيت بكسوة ، كما كان يفعل من كان قبله . فكتب اليهم : اني رأيت ان اجعل ذلك في اكباد جائعة ، فانه اولى بذلك من البيت » .

وسعى لان يمتحن نزاهة الرجال الذين اراد توليتهم حكاماً وولاة على البلاد الاسلامية ليطمئن ضميره وليتخلص من جور الطغاة وعسفهم . فذكر ابن الجوزي انه لما ولي عمر الخلافة وفد عليه بلال بن ابي بردة، فهنأه ، فجزاه عمر خيراً ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره ، فهم عمر ان يوليه العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل . . فدس اليه ثقة له : ان عملت لك في ولاية في العراق ما تعطيني ؟ فضمن له مالا جليلا . فاخبر بذلك عمر . فنفاه واخرجه .

وكان عمر لا يفتأ يذكر عماله بواجباتهم وما عليهم تجاه الله والامة والبلاد من المسؤولية الكبرى ، فطلب اليهم ان يجمعوا الخراج الطيب الحلال . ثم امرهم ان يدعوا ارباب الخبرة واهل الفضل في المناصب، وان يرفعوا السنن الخبيثة التي انهكت العامل والفلاح ، وان لا يعجلوا في احكام الاعدام والصلب قبل استئذانه وان لا يستوفوا الضرائب التي يخولهم القانون حق استيفائها ، وان يسهلوا على التجار والمسافرين مصالحهم فيبنون لهم الخانات ويضيفونهم . (الطبري ١٣٦٤ S2V3)

ونصب نفسه للعدل فضرب على ايدي المغتصبين بيد حديدية وجعل يضيق عليهم الخناق . فبدأ ببني امية انفسهم واخذ ما كان تحت سيطرتهم من الغصوب فردها على اهلها دون ابطاء ولا تأخير، فحمده الناس وشكروا له سعيه اذ ستر بيوتات كثيرة كان الظلم قد فضحها ، وعائلات عديدة كان الفقر قد اخذ ينال من شرفها ، واطفال يتامى كان الجهل قد بدأ يهيء لهم مستقبلا مظلماً . وتمادى في تحري المغتصبين الظالمين والتفتيش عن سيئاتهم حتى خاف بعض خاصته عليه من الاغتيال والاعتداء . وخاطب مرة افراد الاسرة المالكة يؤنبهم على تمتعهم بالاموال الحرام والاملاك المغتصبة بلهجة شديدة فقال : « يا بني مروان ، انكم قد اعطيتم حظاً وشرفاً واموالا . اني لاحسب شطر اموال هـذه الامة او ثلثيهـا بين ايديكم . »

واصدر عمر قانوناً خول به الموظفين البارعين الاوفيـاء حق الزيادة في رواتبهم ان قاموا بما يفرضه عليهم الواجب خير القيام ، وكان ذلك ليقطع دابر الرشوة ، ويجعل للمأمور مجـالا للتقدم ، فيعمل بنشاط وهمة، ويسعى لاكتساب رضى رؤسائه والاحسان الى ارباب المصالح وقضاء حاجاتهم بسرعة ودقة . فانتقده احد اخصائه على ما يتقاضاه عماله من المعاشات الباهظة بقوله : (ترزق الرجال من عمالك مائة دينار في الشهر ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك . فاجابه : (اراه لهم يسيراً ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه . واحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشتهم واهليهم .) ولا ريب انه متى كان المأمور مرتاح البال من جهة العيال فلا يفكر بخيانة الحكومة ، بل يجرب ان يحافظ على مركزه جهد الطاقة .

واصلح القضاء بصورة خاصة فاشترط على القاضي ان يكون عالماً بما نصت عليه السنة ، حليما ذا امانة عفيفاً مشاوراً .

ثم وجه عمر وجهه الى تقويم الاخلاق ومحاربة العادات الفاسدة، فنهى شعبه عن تعاطي المسكرات وابان لهم ما يصيبهم من الآفات والنكبات بواسطتها ، وما تحمله اليهم من المضار والفضائح ، فهي هتاكة للاجسام مضنكة للعقول مضيعة للاموال . كتب عمر الى اهل البصرة : « ان الخمرة تذهب العقل وتسفه الحلم وتبلغ بكم الدم الحرام والفرج الحرام والمال الحرام . »

وكان عمر يرفق بالحيوان ولا يأذن البتة في التثقيل عليه بالاحمال، وناشد مأموريه وخواصه وشعبه ان يهتموا بالعجماوات وان يرحموها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولم يغض النظر عن اولئك القساة الذين يسرفون في ضربها وتعذيبها .

انيس النصولي

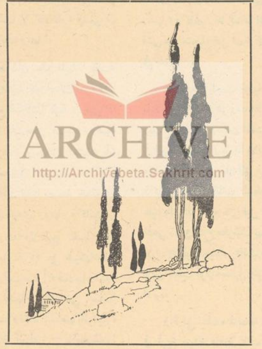
حظها المكتوب

بقلم وداد سكاكيني

كنا اذا احتدم الصيف وعكف الناس على الافياء الوارفة من ضفاف بردى، اعتصمنا من لوافح تموز ولهيب آب بجنان الغوطة الخضراء. هنالك في قرية ساكنة تلفها الادواح وتنساب فيها الجداول، كنا ننطلق من تكاليف المدينة فنستجم ونرفه عن حواسنا في هدوء القرية وسذاجة اهلها، وقد عرفنا منهم عطرشان، اذ كانت صبية غيداء ذات ثغر أبلج وبشرة سمراء، مخزومة الانف بياقوتة، موشومة الخدين واليدين، تأخذ لسانها لهجة بدوية عذبة الوقع في الاسماع، فاذا تحدثت بها دلت نبراتها العذاب على انها لحن من لحون الصحراء.

ما كان احلى اصابيحنا في القرية، حين كانت عطرشان تباكرنا بالتحية، ثم بطاقة ريا من الازاهير الندية، او تبادرنا بطبق الخبز التنوري الذي احسنت عجنه ورققه بيديها السمراوين، ولكم حسدنا عليها الفلاح الذي كانت تعيش عنده فلم يكن مغبونا فيها او مغلوباً، وانما لقي على وجهها الرزق الرجيج ولم تجد هي عنده الا العناء والبلاء.

كانت مهمة عطرشان ان تستدر البقرتين في البكور والعشيات لتطوف باللبن على المشترين، فاذا انتهت من هذه المهمة طفقت تجمع الحصى وتلملم التعاشيب، ثم هبت الى الماء، فادارت المجرى لسقاية الحقل، وعادت الى شتى الاعمال التي يعهد بها اليها الفلاح. وقد كانت اذا كشفت عن ساقيها لتخوض في الماء تأملت ملياً في اتساق هذين العمودين المصقولين ثم لمستهما بيدها الخشنة واطرقت، فاذا انحط نظرها الى رجليها الحافيتين رأت سوادهما بالوحل بادياً وتشقق عقبيها مروعاً مفزعاً فتنهدت وعادت الى الاطراق، وقد خالطها شعور مبهم عنيف، فلا يردها الى نفسها الا صوت ابي محجوب وهو يزجر البقرة التي كانت تعيث في الحقل نكتاً، فيناديها بصرخة ملحة، مهولا عليها بالوان التأنيب والمن والندامة على تربيتها وايوائها، فتسارع اليه وقد دهمها الخوف والحيرة والقلق، واخذ لسانها يجمجم كلمات متقطعة حاولت فيها ان تقنع ابا محجوب بأنها غير غافلة عن البقرة وانها منصرفة اليها من تلقاء نفسها.



ولم تكن عطرشان سعيدة بحياتها عند العم ابي محجوب لانه كان جافي الطبع نابي العشرة ولكنها كانت تصطنع امامه الصبر والسكوت وتتكلف الطاعة والهدوء، على ان في نفسها نقمة هائجة على الاقدار التي طوحت بها فرمتها بذلك الفلاح الغاشم، وقد قيل لنا ان عطرشان سلخت عهد الطفولة ومطلع الفتوة مع امها في البادية، فلما ماتت هذه الام تكفلها ابو محجوب لقرابة بينهما.

اما نحن فكنا ننقم على الفلاح كلما رأيناه غاضباً على ربيبته عطرشان، اذا فرطت بالخدمة، فيهرع الى عصاه ويهز بها تهديداً لها او تأهباً لضربها، فكانت عطرشان تفر منه الينا شاكية، وعليه داعية، فنحميها من اذاه ونشفع لها عنده، فاذا فرغنا لانفسنا كان يرق حديثنا عن عطرشان ويشتد اشفاقنا عليها، فنرثي لها ونغريها

بالهروب من القرية معنا لتشتغل مأجورة في بيت شريف . فـاذا سمعت هذه المظلومة كلامنا وجمت ، وقلبت شفتيها وغمغمت ، ثم تركتنا دون تحية وهي تتميز من الغيظ ولا تلوي على شيء . فكنا نعجب من حماقتها ونتساءل بيننا : لم ضاقت عطرشان بنصيحتنا ؟ بل لم تشكو ابا محجوب اذا كانت لا ترضى بالعيش عنده، فنلمزه نحن ونتصدى لشراسته من اجلها ؟ ومـا تزال عطرشان جادة في شكواها كلما خلت الينا، فاذا ترفقنا معها في النصيحـة وعدنا الى تزيين الفرار لها قطبت جبينها وشمخت بانفها وعصفت بنفسهـا الكبرياء ، ثم طفقت تتحدث عن محتدها النبيل وعن ماضيها الاغر البعيد حتى تمن علينا ان قامت احيانا بمساعدتنا، وان لأبي محجوب حقاً عليها ، فمن اجله تصبر على فظاظته ريثما يواتيها الحظ المرتجى ويلهم الله من يعيدها الى اهلها . فاستقر بعدئذ رأينا على ان في نفس هذه الفتاة هماً لا كالهموم ، والمـاً لا كالآلام ، فينبغي ان نواسيها ونسليها ، وان نرفع الكلفة بيننا وبينها .

ما رأينا ابا محجوب يوماً رفيقاً بعطرشان حانياً عليها . فقـد فقد كان يؤثر عليها البقر والدجاج، ويجافيها كلما ابطأت بأمر، وربما استخفى في لطوة يرتقبها منها ويسمع شكايتها الينا ، حتى اذا باغتها دمدم وبرطم ، فكانت تلم به بين خجل ووجل ، وقـد امتلأت نفسها حسرات على حياتها عنده . وبعد ان استيقنا بأن عطرشان تأنف من اكتساب عيشها اجيرة في المدينة صرنا نكف عن اغرائها بالهروب من القرية ، فكانت تأتينا مصبحة محدثة عن جشع ابي محجوب، فنهون عليها الامر ونهدىء روعها . وكانت تارة تقبل على طعامنا برضاها وتارة ترغب عنه ولا تبيح لنفسها الابية مشاركتنا فيه فلا نؤذيها بالالحاح ، بل نتركها على طبيعتها حتى تعود الينا ممسية وهي اطيب نفساً وارحب صدراً ، فنمازحها وتتندر بها دون ان نمسها بما يهز اباءها او يثير غضبها . وقد نمضي احيانـاً معها في الوان من الدعابة الحادة فتفحمنا وتغلبنا ببداهتها المواتية ، فاذا شاع الظفر في نفسها قلنا لها ورددنا القول : — يا عطرشان ! والله لا ينقص هذا الذكاء فيك الا ان تكوني عروساً لزوج كريم . . فتجيب من فورها : — نعم ، سأتزوج ان شاء الله وينبغي ان يكون زوجي الامير او الوزير كما يقـال عندكم في الشام . . فما تنطق عطرشان عن امانيها بسذاجة حلوة واعتداد بالنفس حتى نستأنف الدعابة معها ثم ننفلت من امامها ونحن نكركر في الضحك ونقهقه . وربما اختلط هذا الضحك العنيف المتصل بصوت عطرشان وهي لا تعبأ بنا وانما تغني غناء يسري في اسماعنا حادياً ناغياً وعلا قلوبنا املا وجذلا ، فنقطعه عليها او نرجع معها تناغيمها البدوية العذبة ونبرها الحنون حتى يتخافت صوتها بالغناء، فتفهمهم به غير حافلة بسماجتنا . فاذا لحظنا فتورها قرت فينا فورة الضحك فهفونا اليها وبدرناها بالتماس الصفح عن هذرنا وفضولنا حتى تنبسط اساريرها وتطيب نفسها .

ولقد كنا نبقى في القرية ما بقي الجو مستعراً لاهباً في دمشق، فاذا دبت طلائع الخريف وهبت علينا انفاسه الرطاب هممنا بالرجعة الى المدينة فتبتئس عطرشان وتنقبض سحنتها فتلح علينا بتأخير السفر او تأجيله ، حتى اذا استيأست من بقائنا تحدثت الينا في رجاء وحنان ان نعود في الصيف الآتي الى قريتها وان لا ننساها . كانت تنقل وحدها متاعنا الى السيارة ، ضئيله في يدها وثقيله على رأسها ، وكأني اراها الساعة اذ اكتب قصتها وقد دلفت نحوي تمشي على استحياء قبل ان نركب السيارة، فجذبتني اليها ثم همست في اذني :

— لا تنسي يا ست خيرية ان تجلبي لي معك في الصيف الآتي طوقاً من الخرز الاحمر ومنديلا من الحرير . . وفرق الدهر بيننا وبين عطرشان ، وجدت المقادير فيما قدرت ، فانقطعنا عن المصيف في الغوطة الفيحاء. وجاءتنا الانباء بموت صديقنا الفلاح غير مأسوف عليه من ربيبته عطرشان التي فرت من القرية غداة وفاته، فكانت ذكريات اللهو ولحظات السعادة التي شعرنا بها مع عطرشان تلح علينا بالسؤال عنها، حتى قيل لنا انها فرت مع اسرة غريبة كانت ادهى منا في اقناع عطرشان بهجر القرية والتماس المعيشة في المدينة، او ان الاطوار حينئذ كانت ملائمة فسولت لعطرشان النزوح عن ارض عاشت فوقها، مستهل فتوتها، حتى صارت ناضجة الفتوة بارعة الانوثة .

وانا لفي لبنان منذ بضعة اعوام نقضي المصيف على هناءة وعافية في قرية بعيدة هادئة لا تسمع فيها لغواً ولا تأثيماً ، اذ تبغتنا جارتنا ام عمر بخبر جديد ، فتقول بلهجة فيها كل العجب وقد القت يدها على خدها كالمغرقة في الاستغراب :

— هل علمتم ان عطرشان في هذه القرية ؟

— بالله عليك ! اين هي ؟ عند اية عيلة تخدم ؟

— آه يا مساكين ! انها زوجة وزير خطير كما قيل لي وهي في هذا البيت الجميل الذي يرى من نافذتكم . ففغرت افواهنا من

الدهش ، وبهتنا مما سمعنا ، فقلنا وقد امسكنا الخصور بالاكف وسمرنا في مكاننا :

— هل تمزحين يا ام عمر ؟

— وحياة عمر وبشرفي ليس في قولي اقل مزاح !

وحين آمنا بهذه الفجأة الحلوة العجيبة فرحنا وعجبنا وقالت عجوز من اهلنا :

— لا اله الا الله . . ويل لمن لا يخاف الله .

فقلت : يا عمتي هذا تأويل رؤياها في اليقظة ، فلقد كانت عطرشان لا تنفك في تهريجنا واسمارنا عن قولها :

« سيكون زوجي الامير او الوزير . . »

ولقد عجبنا كيف جرى الدهر بما شاءت ، وكيف استجابت الاقدار لصوت حظها ، وكأنما كانت تناجيه من وراء الغيب او كأنه كان منها على ميعاد . ولا ريب في ان عطرشان كانت تقول لنا ذلك دون ان تدري بما يضمر لها الزمان من سعد كمين ، ولعلها كانت تجري ذلك الرجاء على لسانها ككل ساذجة متبجحة ، وما احسب ان الامل كان يملأ قلبها ، او يشغل بالها بما صارت اليه .

وتم الاتفاق بيننا على ان نزور عطرشان في المساء ، فلبسنا احسن ما عندنا من الثياب ، ثم اخذنا سمتنا الى ذلك البيت الذي كان في زهوة العمران .

هنالك سألنا ، فقيل لنا : انهم يقيمون في الطبقة العليا ، فصعدنا ووقفنا امام الباب متهيبات مترددات ، ثم ضغطنا الجرس الكهربائي فانشق الباب عن عبد اسود ، فقلنا له :

— نريد زيارة عطرشان .

فوقف كالمأخوذ المستنكر وسأل .

— ومن هي عطرشان ؟ « ما في هنا عطرشان »

— نريد زوجة « الباشا » .

— ها ها الست عطرية ، طيب انتظروا . .

ثم رد الباب دون تغليق وغاب قليلا ثم عاد وقال :

— تفضلوا . . .

فدخلنا البهو . . يا للعجب ! ماذا نرى ؟

نمارق مصفوفة ، وارائك مبثوثة ، وصور فنية على الجدر وفي الزوايا . . وهنا وهنالك . .

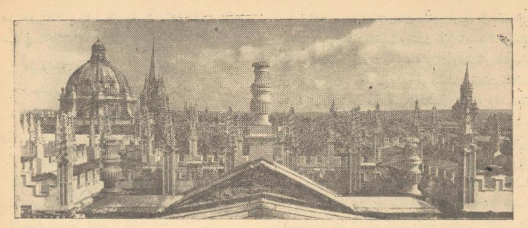
فجلسنا مبهوتات مشدوهات ، نقلب الاعين في هذه النعمة الحديثة ، حتى سئمنا التقليب ودخلت علينا خادم باكواب مثلجة من عصير الليمون فشربنا ولم نرتو ، وزادنا الانتظار ظمأ وشوقاً الى عطرشان . وبينا نحن على مثل الجمر فتح الباب فاطلت منه الست عطرية تتهادى بثوب من المخمل البنفسجي اللماع ، وقد صففت شعرها وعطرته وصقلت وجهها ، واحاطت جيدها بقلادة من اللؤلؤ يشع بوهج لا يوصف . وكان في معصميها اسوار عريض من الذهب . وما ان القت علينا نظرة خاطفة حتى اربدت سحنتها واشتد اسمرارها ، فصارت تخطو نحونا مضطربة حائرة . فعجلنا قبلها بالسلام والابتسام وضمتها عمتي الى صدرها بلهفة حارة ، ولما صافحتني احسست ان كفها الراعشة كانت مثلجة كعصير الليمون الذي شربناه قبل ان نراها ، فانطلقت عمتي مهنئة للست عطرية بحياتها الجديدة فكانت ترد عليها شاكرة بايجاز وفتور وتروي بصرها عنا كلما رمقناها ، فان بيننا وبين نفسها كلاماً صامتاً وقد يكون ابلغ من كل كلام يجري على السنتنا امامها . فلم تصبر عمتي على فتور الست عطرية ، فما زالت تستل منها الجواب تلو الجواب حتى ردتها الى نفسها بعد هذا اللقاء المباغت ، فانبسطت في حديثها ونحن نحمد الله الذي وفاها حظها من السعادة . وقد عرفنا من قصتها انها سافرت مع اسرة غنية التمست لها الحياة اجيرة في بيت مصري كريم عطف الله عليها قلبه ، ولم تلبث ان تزوجها سيدها واكرم مثواها ، اذ استهواه ذكاؤها وتدبيرها ، ثم جاءتنا الست عطرية بصورة له فرأيناه وسيم الطلعة رائع الرجولة .

* * *

كنت واختي نمعن النظر في يديها الناعمتين ، وانا ملها الرخصة كلما مدتها نحونا ، ثم نتأمل وجهها فلا نرى الا اثراً ضئيلا لذلك الوشم الازرق قد لاح كالخيال تحت مسحة من الطلاء المضمخ ، وكانت شفتاها محمرتين بلون كالشفق ، ولكني لم اعرف في اية جهة كان انفها مخزوماً .

ولما استأنست بنا الست عطرية وعاودها الاحساس باخلاصنا القديم حلفت جاهدة ان نزورها دون كلفة وان نعاشرها كالاهل ، وحين هزت يدي وهي تتبسم تذكرت سفرنا من القرية في الغوطة واكبابها على اذني موشوشة : — لا تنسي يا ست خيرية ان تجلبي لي معك في الصيف الآتي . .

دمشق — وداد سكاكيني



منظر الاجنحة والقباب المتعددة في جامعة اوكسفورد

جامعة اوكسفورد وجامعة شارل

تعد جامعة شارل من اقدم جامعات اوربا . بل هي اول جامعة انشئت ضمن حدود الامبراطورية الرومانية المقدسة . اسسها في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا الملك شارل سنة ١٣٤٨ . ولكن لا قدمها ولا تقاليدها اجدت فتيلا في نظر الغزاة التوطونيين عندما اجتاحوا تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨ . فقد فتكوا حالا بعدد من تلاميذها واقفلوا ابوابها في وجه الباقين منهم . والان بعدما فرقت ايدي سبا احرار تشيكوسلوفاكيا وذهب تلاميذ هذه الجامعة ومعلموهم الى انكلترا هبّت لنصرتهم واحدة من اقدم الجامعات الانكليزية ، وهي اوكسفورد ، وفتحت للتلاميذ والمعلمين ابوابها كي يتيسر لهم متابعة دروسهم كما بدأوها في براغ ، ومكنتهم بهذه الواسطة من حفظ اسم جامعتهم الاصلية مستمراً وتاريخها متصلاً ، الى ان تنتهي الحرب وتعود جامعة شارل الى اعمالها حرة طليقة من القيود .

منذ عامين ، اي في ١٧ ت٢ سنة ١٩٣٩ نزلت عصابة من الغستابو (أي البوليس السري الالماني) بمقر تلاميذ براغ ، وجمعوا منهم نحو الف وساقوهم الى ساحة اكرهوهم فيها على ان يشهدوا اعدام تسعة من زعمائهم . ثم فرقوهم على معتقلات لا يزال الاحياء منهم فيها الى اليوم . وكان هذا عقوبة لهم على كونهم قدتذكروا ان يوم٢٨ ت١ السابق كان العيدالسنوي لاستقلال تشيكوسلوفاكيا وهو اول عيد حل موعده بعد احتلال الالمان لبراغ ، ذلك الاحتلال الذي لم تكن البلاد قد افاقت بعد من دهشته .

ثم جاء على الاثر اعلان انكلترا وفرنسا الحرب على المانيا فولد الامل في النفوس . وكان خارج كل احتمال ، كما لا يجهل الالمان انفسهم ، ان يمر هذا العيد بدون مظاهرات وحوادث . والعذر الذي كان الالمان يلتمسونه وقع تحت ايديهم . فماتوا زعماء التلاميذ رمياً بالرصاص . وحبسوا الباقين في معتقلات واقفلوا ابواب الجامعة وسواها من دور التعليم والتهذيب لثلاثة اعوام ولم يكتم الالمان بعد ذلك عزمهم الاكيد على عدم فتح هذه الابواب للدارسين بعد الآن ، بل هم يفضلون القضاء التام على الراقبين التشيكيين ليحولوا الشعب الذي وضعوه تحت محايتهم الى حمالي مياه وقطاعي حطب . من ذلك ان لجنة من الاساتذة والمعلمين جاءت تباحث الوزير الالماني فرانك في امر هذه الفئة من القوم . فاجابها دون ابهام : « اذا خسرنا الحرب عدتم بانفسكم الى فتح ابواب المدارس جمعاء على مصاريعها ، سواء في ذلك العليا والسفلى -

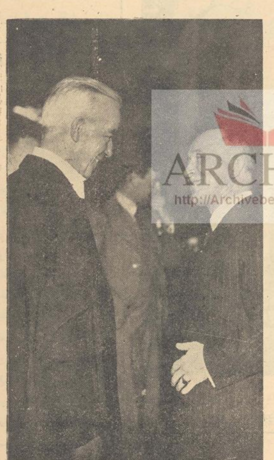
اما اذا رجحناها فالتعليم الاولي يكون كافياً لكم ٠ »

ومن ذلك التاريخ القاتم تشرين الثاني ١٩٣٩ سنحت بعض الفرص للمقاومة التشكية كي تتجسم وتظهر للعيان ٠ واقيمت في لندن حكومة تشيكوسلوفاكية اعترفت بقانونيتها انكلترا والولايات المتحدة وروسيا ٠ وتألفت وحدات عسكرية من الجيش التشيكي في بريطانيا وكندا وفي الشرق الادنى حيث اشترك جنود وطيارون منهم في المدافعة عن طبرق ٠ وانشيء في لندن مجلس دولة ينفح بمشورته الحكومة ويضارع برلماناً يتكلم باسم الشعب التشيكي السجين في وطنه ٠ اما التمثيل الدبلوماسي في الخارج فقد تم ٠ لكن التشيكيين مع اجتهادهم في تأمين عمل الحكومة المنفية لا ينسون البتة المركز المكدر الذي بقيت فيه جامعتهم الشهيرة التي أسسها الامبراطور شارل رجل العلم والانسانية وهو اول ملك على بوهيميا فاز بالسلطة الامبراطورية ٠ وهو العاهل الذي اعاد بناء قصر هراد كاني وقرر ان تكون كاتدرائية براغ مقياسا لنفوذ رئاسة الاسقفية الجديدة ، ولذلك يجب ان تكون مساحتها اكبر من كاتدرائية كولونيا ٠ لكن الاثر الرئيسي الباقي من تاريخ حياته هو الجامعة التي كانت تجذب الى براغ ، حتى في عهد مؤسسها ، اكثر من عشرة آلاف طالب ٠

اما الآن فما هو مصير هذه الجامعة الحقيقي ؟ يزعم كثيرون ان المعاهد العلمية كهذه الجامعة لا يمكن اقفالها او حلها ، وان الالمان ساروا بذلك على خطة منكرة ، اذ انهم سلبوا المعلمين كراسيهم ، واودعوا التلاميذ في المعتقلات ، ومنعوا المعاهد من عملها ٠ لكن حياة الجامعة الروحية تستمر وتصر على البقاء ٠ ان انتشار العلم لا يتوقف على الابنية وجدرانها واندية المحاضرات وقاعات الكتب المتراكمة على الرفوف ٠ ان اعضاءها يستطيعون الاجتماع والمباحثة في الفضاء المطلق ، كما كان يفعل سقراط وتلاميذه الاثينيون ٠ ثم ان اوروبا في الاجيال الوسطى شهدت غير مرة تبديد التلاميذ ٠ واذا ذكر الذاكرون ، فقد كان تبديد من هذا النوع هو الذي ادى الى انشاء جامعة اوكسفورد في انكلترا ٠

ان رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا الحالي ؛ وكثيراً من اعضاء حكومته ، وعدداً من كبار الموظفين في دوائرها ، وجنوداً وطيارين في جيشها العاملين مع الحلفاء في ميادين القتال ، كلهم من تلاميذ جامعة شارل القدماء ٠ وعددهم في انكلترا كبير يكفي ان يجتمعوا ويعلنوا انفسهم عمدة ادارية لجامعة مستوفية الشروط ابان عملها ٠

وقد عرض هؤلاء مسألتهم الى رؤساء جامعة اوكسفورد فنظر هؤلاء في ثلاثة اقتراحات : الاول اعلان عمل الالمان في اقفال الجامعة تعدياً محضاً لا محل له في القوانين ٠ الثاني : تبني جامعة اوكسفورد لجامعة شارل ٠ والثالث : منح اعضاء جامعة شارل المنكوبة تسهيلات خاصة تمكنهم من متابعة دروسها بحرية وتجيز لهم دخول المكاتب المختلفة وعقد اجتماعات خاصة بمقتضى طلبات سابقة في نادي الجامعة الرئيسي ٠ فاعتبرت سلطات اوكسفورد



الدكتور ادوار بنش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا والمستر غوردون رئيس كلية المجدلية في جامعة اوكسفورد

ان الاقتراحين الاولين ينطويان على خطر اثارة مشكلات قانونية معقدة . واوصت عمدة المعلمين باتخاذ قرار يحقق الاقتراح الثالث . ولوحظ ان قبول هـذا الاقتراح الاخير يؤيد المبـدأ الذي يعتبر اعضاء جامعة شارل منتمين الى مؤسسة حية تمثل تقاليـد مستمرة على رغم القيود التي تفرضها عليها السلطات الالمانية المؤقتة وتبقى جزءاً متمماً للهيئة التعليمية في العالم .

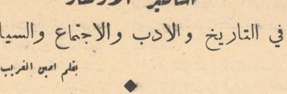
ولمـا اجتمعت عمـدة المعلمين في ٢ كانون الاول الفائت لم تقف عنـد حد الموافقـة على القرار ، بل مـددت حق الاستفـادة الى اعضاء جامعتي كومونيوس ومازاريك التشيكيتين ايضاً .

لقـد مرت احيـان على جـامعة اوكسفورد افتخرت فيهـا بـأن تكون حاميـة الحقوق المفقودة والقضايا الخاسرة . ففي الحرب العـالمية الاولى تولت بيدهـا أمر سربيا . فلما اجتاح الالمان والنمسويون تلك الدولة وخربوهـا كان طلبـة معـاهدهـا الذين امكنهم النجاة الى انكلترا يرددون كل يوم صلواتهم في كنيسة مدرسة مـار يوحنا حيث دفن رئيس اساقفة لود . انجو اوكسفورد نفسه ساعـد على تأييد يقينهم ان الحق في النهاية سيعلو ولن يعلى عليـه ، وانهم سيعودون يومـاً الى وطنهم المحرر من نير اعدائه . ولعلهم في هـذه الايام ، بعدما كبروا ونضجوا وصار ابناؤهم يحاربون الشر عينه الذي قسم الله لهم ايضاً ان يتحملوه ، لعلهم يتـذكرون اقامتهم السالفة في اوكسفورد وايمانها الثابت الذي كررته على اسماعهم بأن الحق لا بد ان ينتصر على الظلم . وفي الحرب الحـاضرة نـال كل من التشيكيين والبولونيين والفرنسيين الاحرار قسطـاً وافراً من اكرام المثوى وسخاء الضيافة في اوكسفورد . ففيهـا القى المونسنيور شرموك رئيس وزارة تشيكوسلوفاكيا اول خطبة عـامة له في بريطانيا ، وذلك في نادي كلية الجدلية وهو لا يعرف الانكليزية ، وقد رفض بتـاتاً ان يتكلم باللغة الالمانية التي يعرفها ، لانها لغة الظـلاّم المستبـدين بوطنـه . فلذلك تكلم باللاتينية ، وباللاتينية رد عليه احـد الطلبة ونائب مدير الجامعة .

وليست اللاتينية نادرة الاستعمال في اوكسفورد . فبهذه اللغة تكلم جيروم اول عالم تشيكي معروف اتى من براغ يلقي دروساً في اوكسفورد . وكانت اللاتينية لغة جـامعة شارل عندمـا انشأها الامبراطور العالم الذي اراد بواسطتهـا توسيع دائرة العلم في الامبراطوريـة الرومـانية المقـدسة . ولهـذا كان حقـاً وعدلا ان يستعمل هـذه اللغة رئيس وزارة يعلم جيداً الى أي مـدى تتفق مزاعم هتلر وموسوليني مع مبـادىء الوحدة الاوربية .

دار الكتب في جامعة شارل التي اقفلها النـازى في مدينة براغ





اساطير الازهار
في التاريخ والادب والاجتماع والسياسة

بقلم امين الغريب

كيف تولد الزهرة ؟

هل خطر لك يوماً ان تراقب مولد الزهرة ؟ وترى بعينك كيف تطلع الى الوجود . هذه العملية البطيئة جداً تجري بعض الاحيان بسرعة كافية لان تراها العين المجردة بوضوح . وقد صورها السينماتوغراف فارانا جذوع النبتة وكل فروعها تهتز وترتعش عند ولادة الزهرة . والكأس تنشق بدافع قوي فتندلع منه الاشعة (وهي ورقات التويج الملونة) الى الخارج كأن الزهرة تنفجر فعلا وتفتر عن مظاهر الحياة .

نحن نرى القوّة في انقضاض الصواعق . وفي هبوب العواصف . وفي انحدار الشلّال . وفي اضطراب البحر بالزوبعة . لكننا نعجز عن رؤية القوة التي تدفع الزهر الى الظهور . مع انها لو حصرت لزحزحت الجبال . ان في روضة من الزهر قوّة يعادل مجموعها بركانا ساعة الهياج .

الحفلات الزاهرة — اخذت الازهار تنتشر في مدن العالم بحسب تأصل التمدن وانتشاره في تلك المدن . فالناس يتبارون في تزيين منازلهم وشرفاتهم . ولعل الناس في كاليفورنيا الاميركية اشد بلاد الله اغراقاً في هذا الموضوع نظراً لما خصتها به الطبيعة من تربة جيدة وطقس جميل . فاصبحت مدنها مسارح في رأس السنة لسباقات الزهر التي بدأنا بعد الحرب العامة الاولى نقلدها في بيروت . وقد بالغ الاميركيون في العناية بهذه الحفلة حتى صارت اسبري بارك في ولاية نيوجرزي تتيه عند نهاية العام بحفلة عامة يتحول كل سكانها فيها الى اعمدة زهر ماشية في الشوارع .

ولا شك ان احتفالا كهذا يقتضي من اللطافة في الذوق العام والدماثة في الاخلاق ما يتعذر ايجاده في شوارع بيروت قبل اعوام كثيرة .

على ان الاجانب عندما يذكرون الحفلات الزاهرة — اي المزدانة بانواع الزهر — لا يغفلون ذكر بيروت وحفلات الدستور العثماني التي اقيمت في شوارعها بعد ٢٤ تموز ١٩٠٨ . كان الناس قد نسوا كلمة « الحرية » في عهد عبد الحميد الثاني . ولما سمعوها فجأة هبوا الى الازهار يتراشقون بها حتى خيل للاجانب ان البيروتيين في تلك الساعات الباهرة ، يكرمون الحرية الساحرة ، بحفلة زاهرة .

وقد رأينا في شهر نيسان الفائت كيف يحيي النصارى في كل بلدان العالم تذكارات الفداء الشجية ، فيعدون للسيد المسيح مدفناً من الزهر . بعدما تذكروا بمثل ذلك دخوله الى اورشليم يوم احد الشعانين . وقد انشأ البابا اربانوس عام ١٢٦٢ عادة الزياحات القربانية في شوارع رومية . فاخذها عنه العالم الكاثوليكي باسره . ومن هذا القبيل احتفالات زحله وبيروت بالطواف العام يوم خميس الجسد .

والزهر رفيق الناس وسميرهم . يستخدمونه في الافراح دليلًا على الابتهاج والغبطة . وفي المآتم دليلًا على التكريم والاسف .

الزهر ونفقاته — لم يخف عن بعض الاذكياء ما في محبة الناس للزهر من موارد الربح التجارية . فان ما تنفق الشعوب على هذا الصنف لاجل الزينة فقط يعد الان بالملايين . ومتوسط ما يدفع اهالي الولايات المتحدة ثمن زهر في السنة نصف مليار دولار . او مئة مليون جنيه انكليزي ذهباً . منها ٥ ملايين تنفقها مدينة نيويورك وحدها . وتأتي بعدها باريس التي اشتهرت بالعلم والنور والاناقة والزينة . فان الباريسيين « يتشكلون » بالازهار ويزينون بها فتياتهم بمتوسط مليوني جنيه استرليني كل سنة . وهذا الثمن بالفرنكات والغروش السورية يكاد يكون « فلكياً » .

اما اغلى ما يكون الزهر في فصل عيد الميلاد . لانه يؤخذ من بيوت الزجاج ويرسل الى المدن الكبرى حيث تباع زهرة الورد الواحدة بجنيهين وثلاثة واربعة . وكم من باقة ترمى على اقدام راقصة في مسرح يبلغ ثمنها مئتي جنيه واكثر . والورد على كل حال

ملك الازهار . والباعة يؤكدون ان ثلاثة ارباع الثمن للباقات يتعلق به .

مع ان ضمة الزهر التي حملتها اليس روزفلت ابنة رئيس الجمهورية يوم اكليلها (عام ١٩٠٤) على نيقولا لونكورت في واشنطن (وكان كاتب هذه السطور وقتئذ صحافياً في نيويورك) قد جلبت زهراتها من اماكن عديدة لاجل التناسب التام . فكلفت مئة دولار ، أي عشرين جنيهاً . وقالت الجرائد يومئذ انها اثمن ضمة في تاريخ واشنطون العاصمة . وقد استنبط التجار وسائل مدهشة لحفظ الضمات ناضرة مدة طويلة . فاستبدلوا كؤوس الزهر الطبيعية بكؤوس من الورق المصمغ بمادة تغذي التويج واشعته .

يوجد اليوم في نظر باعة الزهر مئتا نوع من الورد ، ومئتا نوع من البنفسج . لكن هذه الانواع تنقسم الى طبقات مختلفة تجعل تجارة الزهر المتقنة متناهية في الدقة والصعوبة .

العناية بالزهر — كلما رأيت منزلا على شرفاته ازهار نامية ايقنت ان هنالك انامل مخيفة واخلاقا رقيقة خصصت للعناية بالزهر بعض اوقاتها . بل صار الناس يستدلون غالباً بالازهار الناضرة حول البيت على وجود البنات فيه . وهن كالازهار عنوان الانس والنضارة والاناقة . فضلاً عما في العناية بالزهر من الفائدة الصحية لانها تقضي على الانسان بمواجهة الطبيعة والعمل في الهواء الطلق . ولهذا قيل ان التي تعتني بالورد تستغل موسمين : احدهما في حديقتها والاخر في وجنتيها .

العليقة العجيبة — الى جانب كنيسة القديسين بطرس وبولس في كلاستنبوري (انكلترا) عليقة من مزاياها انها تزهر كل سنة حوالى عيد الميلاد في ٢٥ كانون الاول . وليس هذا موعد ازهار العليق من نوعها . وقد روت الاساطير انها مجلوبة اصلاً الى انكلترا من فلسطين من العليقة التي اخذ منها اكليل الشوك للسيد المسيح فأخذ الامير كيون فرعاً منها سنة ١٩٠٠ وزرعوه قرب كنيسة القديسين بطرس وبولس في واشنطون العاصمة . فلما نمت اخذت تزهر نظير امها على عيد الميلاد .

وقد نظم شعراء الانكليز قصائد في هذه العليقة وغمروهـا بالثنا . لانها كانت من العوامل التي دفعت كهان الوثنيين القدماء (الدرويد) الى التنصر . وحكاية نقلها من فلسطين الى كلاستنبوري لا تقل غرابة عن ازهارها السنوي يوم عيد الميلاد . فان اليهودي يوسف الرامي الذي اعطى بقعة من بستانه ليدفن فيها جسد يسوع تنصر بعد قيامة السيد المسيح وذهب مع سواه من الرسل ليتلمذ



الامم . وبعد ما زار رومية وشهد الاضطهادات العنيفة للمسيحيين تابع السير الى غالية متوكئاً على عكاز قطعه من العليقة التي اخذ منها اكليل الشوك لتعذيب سيده الالهي . فعبر بحر المانش في زورق وسار في انكلترا يضايقه غضب الدرويد الذين هالهم تبشيره بدين جديد . فبلغ جزيرة افالون الشهيرة التي نشأ فيها ارثور وفرسانه ارباب المروءة والشهامة .

افالون تدعى اليوم كلاستنبوري . فلما اشرف عليها يوسف الرامي تعباً منهوك القوى كان على رابية جميلة فغرس عصاه في الارض وجلس يستريح . فرآه رجال الامير ارفيراجوس وساقوه الى حضرته . ولما سمعت زوجة الامير كلامه اهتدت الى مذهبه وحملت زوجها على السماح له بالبقاء . ولما عاد في الغد الى الرابية لجلب عصاه وامتعته وجد العصا قد علقت بالارض واخضرت ، فتركها . وبعد قليل اورقت واخذت تزهر كل سنة ، لا في الربيع كعادة العليق ، بل في عيد الميلاد . فذاع خبرها في البلاد وكانت عوناً كبيراً ليوسف على تنصير الانكليز . وكان الناس يعتقدون ان لمس هذه العليقة

يشفي جميع الامراض .

وحافظ الانكليز على هذه العليقة الى ان دارت رحى الحروب الدينية في عهد شارل الاول . فحسبها البروتستان ذخيرة بابوية وقام جندي متعصب يريد قطعها فلما اعمل الفأس فيها طارت شظية منها الى احدى عينيه ففقأتها . وكان هذا كافياً لحفظ العليقة المقدسة .

اما الفرع الاميركي فقد اهداه حارس كنيسة كلاستنبوري الى الاسقف ساترلي اول مطران على واشنطون لشيعة الابسكوبال البروتستانية . ومن مزايا الكنيسة التي تحاذيها العليقة في واشنطون ان تشييدها كلف عشرة ملايين دولار . وقد جيء بالحجارة لهيكلها من مقالع هيكل سليمان التي مشى عليها يسوع في طريق الجلجلة . وحوض العماد فيها مغروس بفسيفساء مأخوذة حصاها من مهد الاردن ومنقوشة بشكل بديع يمثل صورة السيد المسيح .

الزهر في السياسة — اتفقت السكك الحديدية على اتخاذ اللون الاحمر علامة للخطر ووجوب الحذر فاذا مر قطار بعلامة حمراء علم سائقه ان طريقه مسدود فلم يتقدم .

وزهرة الخزامى تجد ذاتها جميلة محبوبة . لكن حكومة النمسا قبل الحرب العامة كانت تنظر اليها كما ينظر سائق القطار الى اللون الاحمر . والسبب في ذلك انه في اثناء خلاف شديد بين النمسا وشريكتها هنغاريا تألفت جمعية من السيدات المجريات الشريفات غرضها تحرير هنغاريا من شركة النمسا واستقلالها السياسي . اسست هذه الجمعية في حفلة رقص زاهرة في دار الكونتة باتياني . فتحمست النساء تحمساً ناريا ونزعن مجوهراتهن والقينها بين يدي امينة الصندوق . وفي الغد اوجبن على ازواجهن ان يذهبوا ويبتاعوها ابتياعاً . فما انقضى يومان حتى صارت الجمعية غنية . وكانت اكثر الازهار التي ازدانت بها تلك الحفلة خزامى . فاقترحت احدى السيدات اتخاذ هذه الزهرة شارة للجمعية وبالتالي صارت الجمعية نفسها تدعى « الخزامى » .

واتفقت بعد ذلك النمسا وهنغاريا . لكن رضى الاهالي لم يكن تاماً . فوجد الناقمون علة لابقاء الجمعية ، فاستمرت ونمت وصار اعضاؤها رجالا ونساء يعرفون بزهرة خزامى يعلقونها على ميسرة الصدور . ولم تجد الحكومة النمسوية من الحكمة ان تقاتل هذه الجمعية نظراً لقوتها فيزيد اضطهادها في الطين بلة . لكنها نظرت اليها دائماً شزراً واعتبرت زهرة الخزامى عنوان الدسيسة والخيانة . وكانت تنظر اليها نظر سائق القطار الى العلامة الحمراء .

ولم تكن الخزامى وحدها قليلة الحظ في اعين الحكام النمسويين . بل هناك زهرة ثانية كرهوها ومقتوها رغم روائها وبهائها ، وهي الاقحوان . فقد كانت النمسا تملك مقاطعات ايطالية هي التي حولت ايطاليا في الحرب العالمية الاولى عن معاونة المانيا والنمسا وجعلتها خلافاً لما كان الناس ينتظرون تمتشق الحسام في وجه حليفتيها . فقد الف الايطاليون جمعية سياسية اتخذ اعضاؤها الاقحوان شارة لها وسعوا لاستعادة املاكهم المسلوبة . وقد تنبه رعايا النمسا الايطاليون اصلاً في المقاطعات المذكورة فأخذوا يزينون بالاقحوان دورهم وصدورهم . ومع ان الجمعية لم تكن ذات علاقة رسمية بالحكومة الايطالية كان الملك الحالي فكتور عمانوئيل يعاملها بلطف وتكريم يحدثان استياء في فيانا . لان هذه الجمعية كانت تنفق مالا طائلاً على عسكر جرار من الجواسيس المنبثين من قبلها في مقاطعات النمسا الايطالية استمالة لهم الى الخروج على النمسا والرجوع الى احضان امهم ايطاليا . لكن النمسا لم تكن تتساهل مع الاقحوانيين كالخزاميين بل كانت تترصد كل من يزين صدره باقحوانة . فان كان ايطالياً اهانته ، او نمساوياً سجنته ، او اجنبياً طردته . اما سبب اختيار الايطاليين للاقحوان شارة لجمعيتهم فكان تكريماً لملكتهم السابقة زوجة الملك همبرت وكان اسمها مرغريتا ، أي اقحوانة .

وكان في النمسا فوق ذلك حزب الماني يتعارف بزهرة الذرة احب الازهار الى الامبراطور الالماني غليوم الاول . ولذلك حرمت النمسا على زهرة الذرة الظهور في شمال بلادها ، كما حرمت الاقحوان في جنوبها ، والخزامى في الوسط .

اما في فرنسا دولة الحرية ، فلم يعاقب تعليق الزهر على الصدور كجرم سياسي . لكن بعض الحكام كانوا يكرهون ازهاراً

خاصة رغم جمالها الطبيعي ولا سيما ايام الانتخابات . فزنابق الحقل الطاهرة التي لا تتعب ولا تشتغل ومع ذلك سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها — كانت مع نقاوتها وبراءتها وبياض سريرتها تصبح خبيثة فاسدة النية على صدر الرجل في الازمات السياسية لانها تنم للجمهوريين على ميوله الملكية . وزهرة الزنبق عنوان اسرة البوربون التي توالت على عرش فرنسا الملكي قروناً طوالاً . حتى ان كتّاب القرون الوسطى حرّفوا اسم الزنبق الفرنسي (ليس) بقولهم (زهرة لويس) نظراً لكثرة ملوك فرنسا البوربونيين الذين حملوا هذا الاسم .

وفي مقاطعة بريتانيا الفرنسية يتزين الاهالي حتى اليوم باوراق من شجر الدبق لرمزها الى اسلافهم الدرويد في عهد غالية .

اما البونابرتيون في فرنسا فكانوا يتعارفون بزهرة البنفسج التي اتخذها نبوليون الاول شارة له . وفي احتفالهم السنوي بالجناز التذكاري لنبوليون الثالث ولابنه الوحيد الذي قتل في حرب الزولو متطوعا مع الانكليز — يضع كل رجل في الكنيسة على صدره زهرة ، وكل امرأة ضمة كبيرة من البنفسج

وفي عهد القائد الشهير بولنجاي كان اتباعه يعلقون على ميسرة الصدور زهرة حمراء .

الزهر في سياسة الانكليز — في خلال القرن الخامس عشر رزحت انكلترا تحت ويلات حرب طاحنة من أشد الحروب في تاريخها تدعى « حرب الوردتين » . وحكايتها ان اتباع الدوق يورك من جهة كانوا يتعارفون بوردة حمراء . واتباع الدوق لنكستر من جهة ثانية بوردة بيضاء . وما برح الانكليز منذ عهد بعيد يرمزون بالورد الى اسرتهم المالكة حتى كان قضاتهم في مئات السنين عند اصدار حكم او تلاوة وثيقة مهمة يحملون بأيديهم زهرة او ضمة من الورد ، للدلالة على السلطة المعطاة لهم من الملك الذي يتلى الحكم باسمه .

زهرة ارلندا الزمردية — اما ارلندا فاتخذ ابناؤها رمزاً لهم زهرة مثلثة الاشعة يدعونها « شمرك » لونها اخضر قاتم كالزمرد ، وهو رمز الوطنية العامة لا الاحزاب السياسية . ولهذا لقبت ارلندا بجزيرة الزمرد .

وقد اختار الارلنديون هذه الزهرة لان شفيع بلادهم القديس بتريك كان في مواعظه يتخذ تثليث اوراقها وسيلة لاثبات الاقانيم المتساوية في سر الثالوث الاقدس . وكانت انكلترا تكره في البدء هذا اللون لما فيه من تذكير الارلنديين بوطنيتهم المستقلة . لكنها صارت في النهاية تشاركهم في الحفاوة به . فان الملكة فكتوريا بعدما ابدى جنودها الارلنديون من البسالة في حرب الترنسفال امرت بان يعلق جميع الجيش الانكليزي يوم عيد القديس بتريك علامة خضراء على صدوره .

الزهر في وايلس واسكتلندا — اما وايلس المقاطعة الانكليزية التي يدعى دائما ولي العهد اميرها فقد اتخذت زهر الكرات رمزاً لها . وكانت الملكة ماري والدة جورج السادس في عهدها تعلق في كل احتفال رسمي ضمة كرات على صدرها ، او تجمع منه اوراقا ظاهرة بين الازهار التي تحملها تكريما للامارة التي تنتمي اليها . وهكذا فعلت حماتها الملكة الكسندرا من قبلها . اما كنتها الملكة الحالية اليصابات فاسكتلندية المولد ، ولذلك هي تحمل في الاحتفالات ضمة من زهر العوسج رمز اسكتلندا . وما زال حزب المحافظين في انكلترا يتخذ منذ عهد اللورد بيكونسفيلد (دزرائيلي) الورد الجوري شارة له لان ذلك الوزير الداهية كان يميل الى هذه الزهرة الزكية .

ازهار دولية مختلفة — وقد اتخذت اليونان زهرة البنفسج رمزاً لها . واسبانيا الرمان ، والمكسيك صبر ايوب (المدعو نبات المئة سنة) وكندا الاسفندان . اما الولايات المتحدة فلم تتفق — رغم اتحادها العجيب في كل شيء — على زهرة تمثلها . اجل ان هناك نوعا بديعا من الورد يدعونه « الجمال الاميركي » وزهرة قرنفلية بيضاء ينسبونها اليهم لكنهما ليستا بحصر القول رمزاً لهم .

اما اللبنانيون والسوريون فقد استغنوا عن ازهار الارض كلها بالازهار البشرية التي تجمع كل واحدة منها عندهم في خَلقها وخُلقها مزايا سائر الازهار الطبيعية منظراً وشذاء ، وتأثروا جدودهم العرب اذ قال شاعرهم في فتاة تسكب دموعها على وجنتيها وتعض باسنانها احدى شفتيها :

واسترجعت سألت عني فقيل لها ما فيه من رمق دقت يداً بيد
واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

الازهار والخرافات — تحمل العروس احيانا ضمة من ورد ابيض في ذهابها الى الاكليل . لكن بعض الشعوب يرى محض الشم للورد الابيض مؤذيا للدماغ . وبعد اكليلها تتنازع الفتيات من حولها نتفاً من هذه الضمة المباركة . مع ان في الدنيا كثيرين يعتقدون ان من ينثر اوراق وردة بيضاء يموت بالسل الرئوي

في اسكتلندا يرون لكل الازهار محلا في حفلة العرس ، الا ذات اللون الازرق . فهي ممنوعة لانها تجلب للعروسين الجنون . ويعتقدون ان العروس التي تفتح عينيها صباح اكليلها على زهر ابيض تنتظرها السعادة في بيتها الجديد . اما اذا كان الزهر احمر فالويل ثم الويل لها .

والاسكتلنديون يكرهون بعض ازهارهم ويرون في ادخالها الى المنزل نذيراً بموت احد السكان

وفي بعض الجزر البريطانية يطعمون العروسين بقولا مخصوصة تثير عوامل الحب المتبادل في قلبيهما . واذا شردت عين العريس بعد الاكليل استعادته العروس باكلة متخذة من قلب حجل وجذع من العليق تقلى بالسمن وتعطى للعريس الخائن فيصير اميناً . وعندهم ايضا ان العازب الذي يحب الازهار كثيراً لن يتزوج .

اليونانيون يزينون الهيكل بالازهار قبل الاكليل لكنهم يعتنون بنزعها بعده لئلا تذبل هناك فتكون شؤماً على الاكاليل المقبلة . وفي سواحل فرنسا قبـــل سفر الصيادين تجيء زوجاتهم وحبيباتهم بازهار تنثرها على البحر ليكثر امامهم السمك . وفي صاموى ينزل الميت الى قبره مكللا بالزهر كي يؤذن له بدخول السماء وفي بعض الاماكن الاوربية يميل دوار الشمس وجهـــه الى صوب كل امرأة غير امينة .

شذاء الزهر وعطوره — قد كان قبل هـــذه الحرب في فرنسا وحدها ستمئة معمل كبير لاستخراج العطور من الازهار وثلثمئة في الولايات المتحدة . وقد تربعت فرنسا في قمة الشهرة العالمية بصنع العطور . واعظم بلدة فيها بهـــذا الصنف هي غراس على ضفاف الريفيارا يبلغ ما كانت تصدره من العطور في كل سنة ٦ مليارات كيلو تؤخذ من ستين الف فدان ارض زهراً وتباع بمليوني لـــيرة ذهباً . اما عدد سكانها فعشرون الفاً يسابقون النحل الى امتصاص نفثات الزهر . ويوزعون العطور على كل فتيات العالم

اما الدولة التي سما الورد فيها على سائر الازهار فهي بلغاريا . فان فيها سبعمئة الف فدان ليست سوى اجام مرتبة لهـــذا النبات النبيل . تبتاع اميركا ثلث هذه الحاصلات وفرنسا الثلثين الباقيين

اما السبب في غلاء العطور فهوان عشرين الف درهم من الورد تقطر درهماً واحداً من عطره . اما الياسمين فمصدر الشذاء في اكثر انواع المـــاء الكولوني المشهور ، وكل الف درهم من اشعة توليجه تقطر درهماً من العطر .

كيف تستخرج العطور — اهم الطرق لذلك اربع : الانضاح والتصفية والتخضيض والجذب . فبالانضاح تنثر الازهار على صفائح زجاجية مرطبة بدهن الخنزير . ومن الغرائب شدة الجاذبية بين عطر الزهر وبين دهن الخنزير التي تجعل هذا يمتص ذاك بسرعة . وتستبدل الازهار ٨ مرات على الدهن حتى يتشبع من العطر تماماً . ثم يحلل في الكحول بالتبخير .

اما استعمال البشر للعطور فقديم . كان اليونان والرومـــان يستخرجونها ويستخدمونها فقضت عليها زحفات البرابرة على اوروبا في القرون الوسطى وخربت معاملها وانست الناس اسرارها . لكن هذه الاسرار حفظت في الشرق واكتشفها الفرنجة في بلادنا واخذوها ايام الحروب الصليبية عنا .

واعلم ان العطور لا تؤخذ كلها من الزهر وحده بل هنالك ثمار واشجار وحيوانات تؤخـــذ الروائح الطيبة منها والغزلان الهندية والقطط الاسيوية وبعض حيوانات كندا وسيبيريا وحيتان الاوقيانوس الهندي كلها تدخل في ميدان العطور وتضحي بنفوسها حباً بسيداتنا الزكيات الروائح . حتى المعادن لا تتأخر عن هذه الخدمة . فان لبعضها شذاء خاصاً يستخدمه البارعون من صناع العطور

هكذا جاءت الكيمياء والزولوجيا لمعونة العطار فاصبح يصنع كثيراً من الروائح صنعاً مقلداً بها الزهر وهي ليست منه . لكن في الطبيعة اسراراً لم تستطع يد الانسان ادراكها بعد . مثال ذلك انه لم يقلد بعد رائحة نسمات البحر المنعشة ولا رائحة الغـــاب الخشبية بعد المطر .

والعطور دليل النظافة لانها لا تأتي الا معهـــا . وهي ايضاً مطهرة ومضادة للفساد . فالبخور والصندل يستخدمان اليوم في كل مكان قابل الاتساخ والتعفن . ومن هذا كان استعمال البخور والشمع العسلي في الكنائس والمعابد مزدوج الفائدة . ولما كانت الرائحة الطيبة شديدة التأثير في الاعصاب ظن بعض الظرفاء ان مركز الروح البشرية يجب ان يكون في عصب الانف . ولهـــذا قيل ان اكبر الناس انوفاً اعظمهم هماً واصفاهم عقولا . وقد اثبت ذلك نبوليون بقوله مراراً « اعطوني رجالا كبار الانوف »

انتظار

•

ما انتظاري في المفرق ؟
اترى بعد نلتقي ؟
مرة بعد ، يا رفيق الشقا ، انت يا شقي .
ما اختلافي الى الجبال ،
اترى ، بعد ، بالخيال ،
نلتقي ، بعد مرة ، يا حبيبي ، على التلال ؟
ما وقوفي على الدروب ؟
اترى ألمح الحبيب ،
مقبلًا نحوي باسماً يسحب الحب والطيوب .
ولم ارقب المساء ؟



اترى بعد في الخفاء ،
نتلاقى في مطرح وارف الظل والرواء . .
عبثاً انشد المحال
فالذي اهوى لا يزال
فكرة لم تخطر ببال !

غفوة

•

نم على الارض معي ،
وتوسد اضلعي ،
غفوة ملء جفون الليل حتى لا نعي .
وحدنا في مطرح حلو طري المضجع . .
فوق جسمينا يمر الفجر ، مخضوب الشفاه .
وعلى الثغرين تطفو عربدات وصلاه
ومن الصدرين لا يسمع الا همس آه . . .

غطوس الرامي

شارل فيشتر في «ذات الكماليا»

قد يعود النقاد الى كتابة مجلدات اخرى في نقد «ذات الكماليا»، رائعة مؤلفات اسكندر ديماس الابن، ولكن ما كتب فيها وما قد يكتب لم يمنع هذه القصة من ان تبقى في طليعة الروائع التي تدافع عن المرأة الخاطئة التي تعطي كل قلبها بعد ان تكون قد اعارته. وقد يرجع بعض الفضل في ذيوع شهرة هذه الرائعة الى اسمها. ومما لا شك فيه ان الكتّاب يوفقون احيانا في اختيار اسماء مؤلفاتهم واحيانا لا يوفقون، وقد قيل ان اسم الكتاب يدفع الناس الى شرائه.

يقول الكاتب المسرحي جول تروفيه ان مسرحية «ذات الكماليا» لم تفقد شيئاً من نجاحها بالرغم من تفاوت قيم الممثلين الذين اخرجوها، وان مرغريت غوتيه، بطلة المأساة، كانت السبب في ثروة الممثلة السيدة دوش، وفي شهرة الممثل شارل فيشتر الذي لم يضارع في دور ارمان ديفال.

ولد فيشتر في بيلفيل عام ١٨٢٤، وليس في انكلترا كما ذكر معظم مترجميه، من والد حفار من تلاميذ براديه ومن أم انكليزية. على انه نشأ في لندن، وكان في حداثته يتردد على المسارح ولكثرة ما شهد الممثل الانكليزي كين أحس في نفسه بدافع يدفعه الى اخراج مسرحيات شكسبير بلغتها. وكان فيشتر يجيد الانكليزية كما يجيد الفرنسية. ولما عاد الى باريس ادخله استاذه بوفاله الى الكوميدي فرانسيز حيث بقي مدة قصيرة الى جنب الممثلة العظيمة راشيل التي مع اعجابها به خشيت منه على اخيها رفائيل فليكس فعملت على اقصائه. ومنذ ذلك الحين راح يتنقل من فوز الى فوز في مسارح بورت سان مارتان وفودفيل والاوديون. وكان دور ارمان ديفال في مسرحية «ذات الكماليا» اروع الادوار التي ابدعها فيشتر. ومع ان معظم القراء يعرف موضوع «ذات الكماليا» — وقد نقلها الى العربية صديقنا الشاعر نقولا بسترس — لا نجد بداً من ذكر النقاط الكبرى من موضوعها.

شارل فيشتر في دور ارمان

تجري حوادث الفصل الاول في قاعة مرغريت غوتيه، الحظية المعروفة باسم «ذات الكماليا». في القاء السيد ده فارفيل، احد عباد مرغريت، يتحدث مع الوصيفة نانين منتظراً عودة من يحب. ولم تكن مرغريت في الماضي سوى خياطة يرجع الفضل في ثرائها الحاضر الى عطف الدوق ده موررياك الشيخ. على انها كانت تؤثر الاستدانة على جميل السيد ده فارفيل، هذا المليونير الممل الذي كان ينتظر دوره وفي نفسه من العجرفة اكثر مما فيها من الحب. وتعود مرغريت فتصرف السيد ده فارفيل بمهارة ولباقة لتستقبل مدعويها الى العشاء. واذ ينتهي العشاء ويبدأ الرقص تشحب مرغريت فجأة وتخور قواها فتطلب ان تترك وحدها هنيهة. وكان داء الصدر يتفاقم امره فيدنيها كل ليلة من القبر. وفيما هي تنظر الى المرآة تسمع ارمان ديفال، احد المدعوين، ينصح لها بأن لا تهمل صحتها كما تفعل، فتؤخذ بلهجته العذبة الطافحة بالحنان الاخوي، فتتناول زهرة

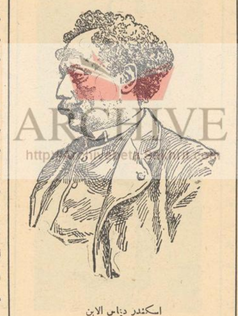
الكماليا التي على صدرها وتقدمها اليه طالبة منه ان يعيدها اليها حالما تذبل ... أي في اليوم التالي ..

وليس الفصلان التاليان سوى قصائد حب من ارمان ومرغريت. على ان طبيعة ارمان الشريفة الصريحة تصطدم دائماً بتصرفات الحظية العاشقة . والمرة الاولى تعرف مرغريت الحب الحقيقي وتود لو تستطيع محو القذر الذي لطخها في الماضي . ويستمر امرها مع ارمان الى ان يظهر والد هذا الاخير على المسرح فتشعر المسكينة بما ينتظرها ، واذ تسمع هذا الشيخ يكلمها باسم الاخلاق ويستحلفها بحبها ان لا تهدم مستقبل ابنه ، عندما تسمع هذا « الواعظ بالريدنكوت » يطلب منها ان تضحي بنفسها لاجل شقيقة ارمان الطاهرة النقية وهي على اهبة الزواج ، وحين ترى ان حبها لارمان سيهدم بيته ويحول دون زواج اخته ترتفع بتضحيتها مقدار ما سقطت بتهورها وتحمل عشيقها على الاعتقاد بانها تؤثر سلوكها الماضي على حياتها الجديدة .

ويدخلنا الفصل الرابع الى قاعة قمار فنرى ارمان ديفال وقد جاء يوبخ مرغريت على خيانتها ويحتقرها جاهلاً الحقيقة التي حملتها على الظهور بمظهر المرتاح الى سلوكه الشائن لتوحي الاحتقار الى الذي تحبه وتعبده في قرارة نفسها . واذ يلتقيان وجهاً لوجه يثور غضبه فيهوي عليها ويطرحها على قدميه قبل ان يرشقها بالاوراق المالية التي ربحها على الطاولة الخضراء . فلا تقوى المسكينة على تحمل هذه الصدمة، هذه المذلة، فترتمي مغشياً عليها .

ويرينا الفصل الاخير مرغريت غوتيه في طور النزاع وقد هجرها جميع العشاق الا ارمان ديفال الذي عرف الحقيقة من والده فاسرع اليها ليضم الى صدره المرأة الوفية التي عرفت كيف تكفر بالتضحية والزهد بالنفس .

ولنترك الآن الكلام لاسكندر دياس الابن فيحدثنا عن بطل مسرحيته . قال : « لم يكن فيشتر يصغي الى نصائحي الفنية اذ كنت ما ازال في بدء عهدي بالاخراج الفني . وكنت اعتقدانه عندما يقول ارمان لمرغريت في الفصل الرابع : « قولي لي انك تحبين السيد ده فارفيل فأذهب » وتجيبه : « نعم ، اني احب السيد ده فارفيل » كنت اعتقد انه يجب على ارمان ان يهوي على مرغريت فيطرحها على قدميه ويرفع يده ليضربها بل ليقتلها . سوى ان فيشتر ابى ان يقوم بهذه الحركة فاصررت عليه فقال : « أأطرح امرأة على الارض وارفع يدي لضربها ! هذا مستحيل على المسرح. ثم ان الجمهور لا يستطيع تحمل هذا المشهد ». فقلت لفيشتر «أؤكد لك انه سيكون لهذه الحركة تأثيرها العظيم » . ولكي يتملص الممثل من تشبثي قال لي : « كما تريد . سنرى ... » ولما وصل فيشتر الى العبارة التي اصررت عليها – وكانت الفصول قد نجحت كلها نجاحا عظيما – تذكر فجأة ما قلت له فامسك بالسيدة دوش (أي مرغريت) وطرحها الى الارض من غير ان تفهم معنى هذه الحركة اذ لم يكن نبهها اليها، فكان لها تأثير كبير في الجمهور . وقد شاع منذ ذلك اليوم ان خلافاً نشب بين فيشتر والسيدة دوش .



اسكندر دياس الابن

وما عتم الامر ان ترك فيشتر وعائلته باريس الى انكلترا . وعلى مسارح لندن الكبرى مثل مسرحيات شكسبير وترجمات بالانكليزية لمسرحيات فرنسية كري بلاس والاحدب والاخوة الكورسكيين وغيرها . وكان موضوع اعجاب الطبقة الاريستوقراطية . وفي احد الايام زاره الرجل السياسي العظيم غلادستن ودعاه لوليمة غداء اقامها تكريماً له ودعا اليها الكونت والكونتس ده باري والدوق دومال . وفي تلك الحفلة طلب الكونت ده باري من فيشتر ان يتأبط ذراع الكونتس ده باري . وعلى المائدة افرد له مكان الشرف فرفض فقال له الكونت ده باري بلطف: « وانت كذلك امير يا سيد فيشتر » .

وكان البرنس ده غال ولي عهد العرش البريطاني ، يحضر جميع ليالي فيشتر وكثيراً ما كان يترك مقصورته بين الفصل والفصل ويدخل الى مقصورة فيشتر ليحدثه ويدخن معه .

ستة من كبار العلماء الفرنسيين في السجن

◆

لما لم ينجح الالمان في سحق مقاومة الشعب الفرنسي راحوا يحاولون حفر هوة بينه وبين صفوة علمائه . ولكنهم فشلوا في هذا ايضاً ، فقد آثر العلماء الفرنسيون فقدان حريتهم الشخصية على ان ينكثوا عهد الوفاء لروح الحرية الشعبية الممتزجة بروح العلم . وكان الالمان قد لزموا طريق الحيل فقالوا للعلماء : « انظروا الى اي حد نحن رحاب الصدر متساهلون ، فنحن لا نريد اقفال الجامعة فعودوا الى باريس وواصلوا اعطاء دروسكم بأمان . » فعاد العلماء الى باريس ، ليس لانهم آمنوا بصدق الالمان بل لانهم فكروا في واجبهم نحو الجامعة ونحو الطلاب . وكان يخيل الى الالمان ان العلماء الفرنسيين ، رغبة منهم في المحافظة على مرتباتهم وطمأنينتهم وحقهم في التقاعد ، سينزلون على مطالب « الكومنداتور » ويقبلون تدريس العلوم الآرية . ويكونون ادوات لافساد الروح الثقافية في الشباب . او ربما كان يخيل اليهم انهم يستطيعون استخدام تلك الصفوة المختارة من الفرنسيين كامثلة تعطى للشعب على « التعاون » .

على ان هذه الخطط المكيافيلية الغليظة باءت بالفشل . ولما اتضح للالمان ان العلماء يرفضون الاستعباد لهم اتخذوهم رهائن ، فلانجفان وكوتون وبوريل ولابيك وموغن وفيلي هم اليوم في السجن . ولكن أيعتقد الالمان انهم اذا سجنوا هؤلاء يسجنون معهم ديكارت وامبير وهنري بوانكاره وباستور وغيرهم ؟ ايعتقدون انهم قادرون على قتل العلم الذي يخيفهم واطفاء النور الذي يروعهم ؟

وسننقل في ما يلي ما كتبه بعض كبار الاساتذة الانكليز عن العلماء الفرنسيين المسجونين لانهم ابوا الا البر بالحقيقة وبالتقاليد الثقافية وبروح الحرية . ولا نزاع في ان هذا التضامن في المقاومة بين الشعب الفرنسي وكبار علمائه انما هو ضمان اكيد لنهضة فرنسا .

بول لانجفان (١)

بقلم السر وليم براغ

كتب السر وليم براغ عن البروفسور بول لانجفان ما يلي :

لقد استفظع جميع علماء العالم المتمدن اعتقال بول لانجفان وغيره من مشاهير العلماء الفرنسيين لاسباب مجهولة ولكنها سياسية على الكثير الغالب . ومما لا شك فيه ان هؤلاء العلماء لم يرتكبوا اي جرم فالذين يعرفونهم يعرفون انه من الخرق والحماقة الصاق اية دنيئة بهم . ولا حاجة بنا للاسهاب في الكلام عن شهرة بول لانجفان واعماله فهي اشهر من ان تعرف . ولسنة خلت منحت الجمعية الملكية البروفسور لانجفان مدالية كوبلي وهي اعظم وسائل التكريم التي في مستطاعها .

فبول لانجفان هو من اولئك الرجال الذين احاطوا بكثير من المعارف وقسط لهم في العلم ما لم يقسط الا للقليل من الناس . ولا نزاع في ان احسن اعماله هو تأسيسه نظرية المغناطيسية الكهربائية . ولا تزال نظريتا « البرامغناطيسية » و « الديامغناطيسية » حيث تركها لثلاثين سنة خلت .

وللبروفسور لانجفان نفوذ عالمي كبير ، وقد انتخب رئيساً لمؤسسة « فيزياء سولفي » الدولية عند وفاة لورنتز وله اصدقاء كثيرون في انكلترا ، فقد بقي من العام ١٨٩٧ الى ١٨٩٨ يعمل في مختبر كافندش بادارة تومسن . وكانت ابحاثه تتناول على الخصوص تركيب الحديد وسهولة تحريكه . وقد تصور وعالج في هذا الباب اساليب جديدة تفوقت على جميع الاساليب السابقة ولم يدخل عليها اي تحسين منذ ذلك الوقت . ولا يزال رفاقه في مختبر كافندش يذكرونه وقد نقلوا هذه الصداقة الى سواهم من العلماء البريطانيين .

ايمي كوتون (٢)

بقلم البروفسور كروثر

وكتب البروفسور كروثر عن البروفسور كوتون ما يلي :

لقد مثل البروفسور كوتون دوراً خطيراً في نهضة الابحاث العلمية في فرنسا بعد حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . وكان قبل الحرب

قد ساهم مساهمة جدية في الاعمال والابحاث التي اوجبت انشاء مختبرات كهربائية ممغنطة اقوى من الحاضرة تسمح بدرس الخصائص الاساسية للمادة . وكانت خطط الانشاءات قد وضعت قبل ١٩١٤ ، على انها ارجئت بداعي الحرب . ولما استتب السلام كانت حالة فرنسا تبدلت لسوء الحظ فالقسم الاكبر من علماء فرنسا الشبان كان قد قتل ، وفقد معظم اجهزة المختبرات .

وفي العام ١٩٢٢ نظمت اكاديمية العلوم مؤتمراً برئاسة المرشال فوش لدرس الوسائل المؤدية الى انعاش الحالة . وجاءت ذكرى باستور فافسحت السبيل الى جمع مبالغ مالية لتجهيز مختبرات جديدة ، وكان ان قررت الاكاديمية تخصيص هذه المبالغ لانشاء مختبر كبير للكهربائية المغنطة ، فشرع بالعمل في العام ١٩٢٤ بادارة البروفسور كوتون الذي كان قد صرف عشرين سنة في درس المسائل النظرية لانتاج الميادين الممغنطة . وفي العام ١٩٢٨ كان الحجر المغناطيسي الجديد قد هيء وهو يزن مئة طن ويستطيع انتاج ميادين ممغنطة واسعة النطاق . وبفضل هذا الحجر المغناطيسي الجديد اجريت اكتشافات على جانب كبير من الاهمية . وسرعان ما اخذ الاختصاصيون في المسائل المغناطيسية يقبلون من جميع اقطار العالم على مختبر كوتون في بيللفو .

وكوتون من ابسط الرجال واكثرهم دعة وكرماً ، فلما قبض المبلغ الكبير الذي منحته اياه جمعية البير الاول في موناكو انفقه على تجهيز المختبر المغناطيسي . فبديهي ان يقع اختيار النازي على مثل هذا العالم لزجه في السجن .

(٣)

اميل بوريل

بقلم البروفسور هردي

وكتب البروفسور هردي عن البروفسور اميل بوريل ما يلي :

لقد شملني ذهول الم حين اتصل بي نبأ اعتقال البروفسور اميل بوريل ، ولا ريب عندي بان جميع علماء العالم سيشاطرونني ذهولي فبوريل هو في عداد اعظم الرياضيين الذين انجبتهم الاربعون سنة الاخيرة ، فليس ثمة فرع من فروع الرياضة لم يدخل عليه هذا العالم تحسيناً محسوساً . هذا الى انه اكمل ما بدأ به بوانكاره وهادامار وكان لنظرياته تأثير كبير احدث انقلاباً حقيقياً في التحليل الحديث .

وقد اعترف الجميع بقدرته الخارقة العادة على نشر افكار لم تخطر في بال احد . واني لكبير اليقين اني انا وتلاميذي والذين يعاونونني مدينون بالكثير لاميل بوريل .

(٤)

لوي لابيك

بقلم البروفسور هيل

وكتب البروفسور هيل عن البروفسور لابيك ما يلي :

لوي لابيك هو من اشهر العلماء الفرنسيين ، يجيد في البحث والمناقشة والخطابة وفي السياسة ايضاً . وهو رئيس جمعية وصديق ومضيف كريم ، والسيد المطلق بعد الله للمركب الشراعي «اكسون» . عرفته بالشهرة منذ العام ١٩١٠ ، يوم كان هو واستاذي وصديقي كنث لوكاس يدرسان فيزيولوجية الاعصاب .

وترجع اولى علاقاتي الحقيقية به الى رسالة بعثت بها اليه لاشكره على اهدائه اليّ نسخة من كتاب اصدره وفيه فصل ينتقد به مقالا لي انتقاداً قاسياً . على انه كان على باطن الغلاف كلمات كتبها بيده تكفي لازالة اي حقد .

وكثيراً ما كان يدعوني لقضاء ايام في ضيافته ببريتانيا ، ولما ذهبت اليه مع ابنتي وصرفت اسبوعاً معه في جالية العلماء وعلى ظهر مركبه « اكسون » فهمت كيف تكون الضيافة الحقيقية . وفي اثناء اقامتي عنده لم نتناقش الا مرة واحدة في مسألة الاعصاب ، على ان مناقشتنا هذه كانت محتدمة امتدت الى ساعة متأخرة من الليل . وفي صباح اليوم التالي تصالحنا على زجاجة شمبانيا وأخذت لنا صورة تذكاراً للصلح الذي عقدناه . ووعدني بان يوافيني يوماً الى ديفونشير حيث اصطاف ، ولكنه لم يعين لي اليوم . وكنت صباح يوم في « بليمث هو » فرأيت شخصين غريبين يسلكان الطريق المؤدية الى المختبر . كانا لابيك وزوجته . فاسرعت اليهما وابديت لهما اغتباطي برؤيتها قائلا : « ما كنت لاعتقد انكما

ستجيثان » فقال لابيك عاتباً : « اراك لا تصدق كلمة مما اقول ». وهكذا حلا بضيافتي في ايفيريدج . وعشية عودتها ذهبنا في المركب الى « بليمث صند » فشربنا زجاجة شمبانيا تكريماً للاتفاق الودي .

كان لابيك عضواً في اكاديمية العلوم ، والغريب انه لم يكن عضواً في فرع الفيزيولوجيا بل في فرع الاقتصاد الزراعي . وكثيراً ما كان يذكر ذلك ضاحكاً .. وكان الى ذلك عضواً في لجنة جمعية الامم التي تهتم بالشؤون الغذائية . وكان يحب فرنسا، بل يعبدها . وقد قال لي يوماً انه عندما يسمع صداح الابواق النحاسية يشعر بدافع شديد يدفعه الى السير .

هذه اللمحة قد تكوّن فكرة عن الرجل الذي يقلق اصدقاؤه عليه في هذه الاونة . واني لاتساءل هل اراه مرة اخرى في « بليمث هو » او في باوباز لانيك ؟ ومهما يكن فلن يجيء على ظهر مركبه الحبيب « اكسون » فسجانوه ، ساهرون عليه .

شارل موغن (٥)

بقلم السر لورنس براغ

وكتب السر لورنس براغ عن البروفسور موغن ما يلي :

احدث نبأ اعتقال الالمان شارل موغن وستة آخرين من كبار العلماء استياء عظيماً في نفوس العدد الكبير من الاصدقاء والمعجبين في هذه البلاد . فموغن هو في الرعيل الاول من علماء فرنسا الذين اعتمدوا الاساليب الجديدة لدرس تركيب الزجاج باشعة اكس . وكان كتابه « تركيب الزجاج بواسطة اشعة اكس » الذي صدر في العام ١٩٢٤ اول كتاب باللغة الفرنسية في هذا الموضوع وكان له تأثير كبير في اذاعة هذه المعارف .

وموغن صديق كبير لانكلترا . وكان يحتل في اجتماعاتنا العلمية محلا موفور الكرامة والتقدير . وجميع العلماء الذين كانوا يزورون باريس كانوا يغتبطون مسبقاً بالفرصة التي ستتيح لهم مباحثة موغن . فرقة شعوره واهتمامه الكبير باشغال اصدقائه حبباه الى جميع القلوب . واليوم حين نفكر في امثال المظلمة التي انزلت بهذا العالم الكبير نقيس مدى الخطر الذي يهدد الفضيلة ونجاهد للقضاء عليه .

جان فيلي (٦)

بقلم البروفسور اندره لابارت

وكتب البروفسور اندره لابارت عن البروفسور جان فيلي ما يلي :

منذ الحرب الكبرى الماضية تخصص جان فيلي ، استاذ الميكانيك الفيزيكي في معهد العلوم بباريس والاختصاصي في مسائل الترموديناميك المطبقة على المكنات . لقد تخصص لمسائل الميكانيك المطبق التي تسمح فيها معارف الفيزيكي بتنوير وجهة نظر المهندسين التقنية .

كان فيلي معاوناً لكاكو ومديراً تقنياً للمؤسسة الجوية الفرنسية ، فبث حياة جديدة في الابحاث التطبيقية بمضاعفته الاعانات المالية لمختبرات المعاهد مما افسح السبيل الى تجديد اجهزة مختلف الدوائر ومكّن عدداً كبيراً من العلماء من مواصلة اعمالهم في ظروف مرضية .

خلال حرب ١٩١٤ اصيب جان فيلي بجراح بليغة في معركة المارن . وعلى اثر تسريحه من الخدمة العسكرية تخصص لتنظيم الابحاث العلمية وهي في نظره احد العناصر التي لا غنى عنها لسلامة الوطن واستقلاله . فاعتقال هذا الوطني الكبير القلب الذي لم يسبق له يوماً خوض المنازعات السياسية دليل على مقدار رغبة الالمان في الاساءة الى العلماء الفرنسيين الذين لم يرتكبوا الا خطيئة واحدة وهي محافظتهم على الوفاء لتقاليد المثقفين الفرنسيين .

◆

---

(1) Paul Langevin par Sir William Bragg
(2) Aimé Cotton par J.G. Crowther
(3) Emile Borel par le Professeur G.H. Hardy F.R.S
(4) Louis Lapicque par le Professeur A.V. Hill
(5) Charles Mauguin par Sir Lawrence Bragg
(6) Jean Villey Par André Labarthe .

الخلافة ونظرية الدولة في الاسلام

◆

من الامور المسلم بها نظرياً ، والتي يؤيدها الواقع ، او يقتضيها ما يسميه ابن خلدون بـ « طبيعة العمران » انه لا بد لكل جماعة من الناس (اوامة) مهما كان معتقد هؤلاء الجماعة او دينهم ، ومهما كان جنسهم او لغتهم ، من حكومة تباشر شؤونهم وتضبط الامور فيهم . قد تختلف اشكال الحكومة واوصافها ، وقد يتنازع اهل الرأي او (الغرض) في الاصلح منها ، فبعضهم يريدها مطلقة والاخرون مقيدة ، وبعضهم يفضلها فردية والاخرون جمهورية ، لكن لا تكاد تجد احداً ينازع في ان امة ما ، لا بد لها من حكومة ما . حتى بعض المعتزلة والخوارج الذين ذهبوا الى « عدم وجوب نصب الامام او الخليفة » قالوا في تبريرها ما ذهبوا اليه ان الواجب هو إمضاء احكام الشرع ، فاذا تواطأت الامة على العدل وتنفيذ احكام الله ، لم يحتج الى امام او خليفة ،ولا يجب نصبه » فهؤلاء اما كانوا نظريين الى ابعد من حد ، واما انهم كانوا ذوي نزعة جمهورية غير واضحة المعالم والحدود . ولست اراهم ينفون الحكومة على اطلاقها ، ولعلهم لم ينفوا منها الا شكلها الفردي . على انه لم يصل الينا من مذاهب الخوارج والمعتزلة الا اليسير ، ولم يصل الينا هـذا اليسير الا في ردود اخصامهم .

في القرآن الكريم آيات في معنى الحكم والتكليف به : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق . .

« وأن احكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع اهواءهم ، واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك .

« أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

ولقد مارست الامم الاسلامية ، خلال قرون من التاريخ ، نوعاً من الحكومة سمي بالخلافة . والخلافة عند اكثر فقهاء المسلمين « عبارة عن خلافة شخص من الاشخاص للرسول عليه السلام ، في اقامة القوانين الشرعية ، وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الامة . » وقد اوجز ذلك كله الماوردي من أئمة القرن الخامس الهجري في كتابه « الاحكام السلطانية » قال : « هي خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا . »

اما تسمية الشخص بالخليفة ، فلانه يخلف النبي في امته ، فيقال خليفة رسول الله . لكن سماه بعضهم خليفة الله ، فنهى عن ذلك جمهور الفقهاء ، وقال الماوردي : (انهم نسبوا قائله الى الفجور ، اذ انما يستخلف من يغيب او يموت ، والله لا يغيب ولا يموت . وقد دعي ابو بكر الصديق اول الخلفاء بـ « يا خليفة الله . » فقال : لست خليفة الله ، ولكني خليفة رسول الله .)

على ان هذا لم يمنع كثيراً من العامة الجاهلين ، ونفراً من الخاصة المتزلفين ، في العصور الاسلامية المظلمة ، من القول بان الخليفة يستمد سلطانه من سلطان الله ، وقوته من قوته ، حتى جعلوا الخليفة ظل الله على الارض . فقال شاعرهم :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

وقال فقيههم : (جعلته عراضة لحضرة من خصه الله تعالى بالسلطة الابدية ، وايده بالدولة السرمدية ، ظل الله في الارضين . . المؤيد بالتأييد والنصر الرباني . . الخ)

لكن المذهب الذي عليه الاجماع هو ان الخليفة يستمد سلطانه من الامة ، فهي مصدر قوته ، وهي التي تختاره لهذا المقام . ويقول العلامة الكاساني مقارناً بين الخلافة والوكالة ما نصه : « وكل ما يخرج به الوكيل عن الوكالة يخرج به القاضي عن القضاء .. لا يختلفان الا في شيء واحد ، وهو ان الموكل اذا مات او خلع ينعزل الوكيل ، والخليفة اذا مات او خلع لا تنعزل قضاته وولاته . »

وان مثل هذا الخلاف بين المسلمين في مصدر سلطان الخليفة ، قد ظهر بين الاوربيين ، وكان له اثر كبير في تطور التاريخ السياسي . فالرأي الاول يقارب مذهب الفيلسوف الانكليزي هوبز القائل بان سلطان الملوك مقدس وحقهم سماوي الهي ، والرأي الاخر يشبه ما اشتهر به مذهب الفيلسوف لوك . ولقد ظل العالم الغربي يرتقب حتى سنة ١٧٨٧ وهي السنة التي اعلن فيها مؤتمر فلادلفي دستوره الاميركي ، ولا سيما سنة ١٧٨٩ وهي السنة التي بدأت فيها احداث الثورة الفرنسية الكبرى ، كي يستبدل بنظريته القديمة في الحكومة او الدولة ، نظرية احدث عهداً واكثر مؤآمة ومقتضيات العصر .

في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان السلطان في فرنسا للملك ، وكان سلطانه ضرباً من ضروب الملكية ، يتصرف فيه كما يتصرف بمقتنياته . وكان حقه في الدولة حقاً مطلقاً ككل ملكية ، لا رادع ولا وازع . فجاء « اعلان الحقوق » عام ١٧٨٩ ينص على (ان كل سلطان يصدر اساساً عن الامة .. وان هذا السلطان واحد لا يتجزء ، ولا يصح التنازل عنه ، ولا يبطل بمرور الزمن .. لانه ملك الامة) فالامة مصدر كل قوة ، وقوام كل سلطان . وليست الدولة بالنتيجة سوى الامة منظمة — منظمة وفقاً لشريعة ما ، ليس يعلو عليها ، او يخرق حرمتها ، لا الافراد الذين تتألف الامة باجتماعهم ، ولا الدولة او الشخص المعنوي الذي يمارس سلطة الامة لحفظ تلك الشريعة . وان هذه النظرية ، نظرية الشخص المعنوي ، احد الاسس التي يقوم عليها النظام القانوني في العالم الحديث ، سواء في علاقات الافراد بعضهم ببعض ، ام في علاقات الافراد بالسلطات العامة التي تحكمهم ، ام في علاقات الدول فيما بينها .

ولسنا نزعم مع ذلك ان فقهاء المسلمين الذين بحثوا اصول الحكم ، وردوا مصدر كل سلطان الى الامة ، وتكلموا عن الجماعة ، وذكروا الاختيار والشورى وهلم جرا .. قد استقام عندهم ، واتضح لديهم ، ذلك المبدأ الفلسفي والقانوني في الامة كشخص معنوي . قال الرازي في التعريف بالخلافة « ان الرئاسة هي حق الامة التي لها ان تعزل الامام او الخليفة » فجاء السيد التفتازاني محاولا تفسير معنى الرئاسة والرد على من يسأل هذا السؤال . اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرؤس؟ فقال (ان الامة هم اهل الحل والعقد ، ورئاستهم تكون على من عداهم .) وهكذا اصبحت الامة عند التفتازاني جزءاً من الامة يختلف عدده ، لا الامة مجتمعة ومنظمة وفقاً لشريعة ما ، في وحدة لا تتجزأ كالسلطان الذي يصدر عنها . وان في هذه الكلمة الجامعة « الرئاسة للامة » اشارة صريحة الى المبدأ الديمقراطي الذي اقره الفقه الاسلامي العام كما اسلفنا بيانه ومارسه المجتمع الاسلامي في اول عهده ، على اساليب وطرق خاصة بالازمنة الغابرة .. ونرجح ان ما يلاحظ من خلل في رأي فقهاء المسلمين هو نتيجة مباشرة لفقدان ذلك الاساس الفلسفي في فقههم ، نعني نظرية الشخص المعنوي في القانون المدني والقانون العام على السواء . ولولا ذلك لما اجاب السيد التفتازاني على سوآل : « اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرؤس؟ » بما يبطل القاعدة المقررة . ففي نظرية الشخص المعنوي حل ذلك الاشكال . لكن قد يكون من التعنت مطالبة الفقه السياسي الاسلامي بما لم يبلغه الفقه السياسي باوربة الا في عصرنا الحديث .

(اعتمد في كتابة هذا البحث الموجز على المراجع التالية : الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرازق - الاسلام والخلافة لمحمد رشيد رضا - الاحكام السلطانية للماوردي .)

« الفخري »

عرق اخضر

◆

لونت احلامي باغفاءة ... الظل على جفن العناقيد
ورحت في فيئك مغرورقاً ... بعطفة المبسم والجيد
من ناعم العشب وساد لنا ... تظله خضر الاماليد
نحسو قوارير الهوى ، والمنى ... مخضلة الاوراق والعود
والحب يجري بين أحداقنا ... فلك على موج الاناشيد

***

انا واياك اخضرار المنى ... يحنو علينا كل املود
وسكرة الظل وغفو الربى ... على مدى بالوهج ممدود
ويقظة النهر على موجة ... الصحو ، وافواج الزغاريد
يعشقنا الورد ، ويشدو بنا ... العطر ، ويغفو وجع تغريد

***

يا ثورة ملء انطلاق الهوى ... افدي بريق الاعين السود
انت انفعال احمر في فمي ... وخفقة رعناء في عودي
بل انت في جفن الدجى شهقة ... الصبح ، والوان الاغاريد

***

انا ارتماء في ظلال الرؤى ... على لهاث في فم الغيد
اقتطف الاطياب مخمورة ... من فم سمراء اللمى رود

***

ظلّي على ينبوع حبي فما ... زال سخيّ الدفق والجود

دمشق — احمد شكري سالم

اهداف الناحية العقلية في التربية اللبنانية

بقلم منير النصولي

يعتقد Thamin ان التربية حتى الناحية العقلية منها تتطلب اتخاذ مذهب فلسفي ، لان غايتها تستهدف نظرة خاصة في الحياة تنحو نحوها . ففي اي الاتجاهات يجب ان نوجه الناحية العقلية في التربية اللبنانية ؟ قبل ان ننهج هذا السبيل لنتطلع الى الاهداف التي اختططناها لانفسنا ، بعد ان نلقي نظرة على تاريخ هذه القضية الهامة في سبيل انشاء امة ، عزيزة النفس ، موفورة الجانب .

لمحة تاريخية

كان فلاسفة اليونان يبتغون في تربيتهم العقلية الوصول الى الحكمة ، اي الفضيلة ، وسقراط لم يكن ليجد هذه الفضيلة الا في متن العلوم وقد اتخذ الطريقة الاستقرائية لادراك هدفه . بيد ان رابله علق اهمية كبرى على جميع علوم هذا الكون واراد ان يجعل من تلميذه معلمة صغيرة . الى ان جاء مونتين من بعده مستنداً الى قواعد سيكلوجية فحارب حشو الذاكرة ، ولجأ الى فعالية الفكر لشحذ قوة المحاكمة والفهم ، وذلك بتنمية الحواس كالادراك والمخيلة ، والانتباه وغيره ... والطريقة المثلى عنده هي المحاضرة (اي المناظرة حسب قولنا الشائع اليوم) : فلو تعلم الولد حسن الجدل لتوصل الى اكتشاف الحقيقة . يقول باسكال مفاخراً « ان قيمة المرء في تفكيره ؟ »

هوذا ديكارت يبشر بالفكر الناقد ، فيضع اسس مذهب « كارتيزي » يتصف به كل فرنسي في حدة ذكائه بنقده القضايا نقداً علمياً مبنياً على قواعد المنطق الصحيح ، فيكون شخصيات مستقلة واعية .

ثم يقوم روسو وبيده مشعل التربية الحديثة ، مبشراً بمذهب جديد يطلق للفرد حريته ، فينمو نموه ، وتتفتح مواهبه كما تتفتح الازهار عن اكمامها في حضن الطبيعة . ها هو يشق الطريق امام علماء التربية ويفتح الباب على مصراعيه كما يقول جون دوي في مقدمته « مدارس الغد » لمتابعة المهمة التربوية التي تقوم على مبادىء فلسفة القرن الثامن عشر ، فتجري التجارب العديدة ، ويكتب لهذا الحدث الجديد النجاح الذي يستحقه .

نزعة المذهب الجديد

ولكن لم يقم مذهب من المذاهب الا وتطلب اتباعاً يوضحون قضاياه من جهة ، ويدافعون عنه امام الاحزاب المعارضة من جهة أخرى ، شأنه شأن تلك الاختراعات العديدة التي لربما حفظاً للتقاليد او لاسباب اقتصادية وجد من يحط من قيمتها ويضع العراقيل في سبيل رواجها الى ان تفرض نفسها فرضاً . فما رأيك في النظريات التربوية التي تود ان تتعهد النشىء الجديد فتنتزعه من احضان الجيل الماضي وتسير به على اعتقاد منها في سبيل أصلح يؤدي الى اسعاده برفعها مستوى مداركه .

ولا شك في ان التناسق والاتزان في المواهب العقلية أشبه بتناسق واتزان القوى الطبيعية ، التي تعمل عملها بنظام ودقة لا يعتورهما الخلل من اجل هذا وجب علينا ان نستند الى قاعدة مثلى وهي الا نعتني بموهبة منفصلة بل علينا ان نتعهد جميع المواهب العقلية معاً .

ولقد قال وليم جيمس احد أتباع المذهب الجديد « ان جميع جهود الفرد ناشئة عن فعالية جميع قابلياته كلها ، فـأية قابلية واحدة لا تقدر على انجاز عمل وحدها . ولو تفحصنا العمل الذي نعتقد انه منتوج قابلية واحدة لوجدنا بسهولة اثر الرغبة والارادة والشعور فيه » : بينما يزعم جيمس ان العمل الذي تؤدي اليه الفكرة انما هو البرهان القاطع على صحتها ، يخرج ديوي بنظريته من ان الاصل في الفكر او العقل ليس المعرفة فليس العقل للمعرفة وانما اداة للحياة .

هذه هي نزعة المذهب الجديد تحدد هدفها بجلاء . فترجع الى علم الاجتماع في ذلك بينما هي تطلب الى علم النفس ان يعطينا الوسائل اللازمة .

فالحياة تطلب علوماً تستعين بها على اداء رسالتها الاجتماعية فتستخدم العقل لمقــدرة رئيسية في مهن الكيميـاء والرياضيات والطبيعيات ، والمنطق واعمال الحكومة ، والفقه

وفي شكله المحلل تستخدمه في الكيمياء وعلم وظائف الاعضاء . واما في شكله المركب فتطلبه اصدار الاحكام السريعة ، بينما في شكله المحلل والمركب تتطلبة الكهرباء والمغنطيس ورسم الخرائط . يتبين واضحاً مما سبق انالناحية العقلية في تربيتنا توجه توجيهاً علمياً في سبيل حياة نامية تستمر في التقدم للوصول الى حياة ارغد منها ، تلك الحياة الرغدة المنظمة والمهارات التي تمهد لنا سبل النجاح في اعمالنا .

ماهية نزعة التربية اللبنانية

ان التربية العقلية في لبنان لم تتخذ شكلا علمياً ، منطبقاً على تناسق وتزايد في مواهبها فالخيال عندنا واسع الافاق حتى انه ابى ان يستقر كما قال الاستاذ مارون عبود في اسبوع الثقافة فكانت مدرسة شعر جديدة الهمها ازرقاق البحر ، واخضرار الارز ، وابيضاض الثلج واحمرار الشفق ووحي الغسق والموسيقى البعيدة القرار .

قوة الخيال ، تملك علينا تفكيرنا الصحيح ، فتحملنا بعيداًعن الحقيقة الراهنة ، فاذا نحن في عهد اشبه بالعهدالرومنطيقي كلما حاولنا التملص منه جذبنا اليه مستفيداً من ضعف في مقدرة العقل على اختلاف اشكاله كما ذكرنا .

لقد اشار الى هذا الضعف الدكتور قسطنطين زريق في «وعي القومي» حيث يقول :

« ان النقص الذي أعني هو ضآلة ثقافتنا العلمية ، هو الفقر العلمي الذي يظهر جلياً في حياتنـا الفكرية الحاضرة . وأعني بالعلم تلك الابحاث المنظمة في المواضيع المتعلقة بالطبيعة وبحياة الانسان فرداً ومجموعاً ، أي مـا اعتدنا ان نشير اليه بقولنا : العلوم الطبيعية ، والرياضية ، والاجتماعية الخ . . فبينما ترانا ننصب على المواضيع الادبية ونبادر الى معالجتها وتحبير المقالات الطويلة فيها ، تجدنا من جهة اخرى لا نمس الابحاث العلمية الا بمقدار ضئيل ونهملها اهمالا يدعو الى الاسف ويبعث على القلق » .

ثم يكتفي بالاشارة الى ثلاث مظاهر من مظاهر تفكيرنا تدل على فقر علمي في حياتنا العقلية : مجلاتنـا وجرائدنا ، الكتب والمؤلفات ، محاولتنا بعث ثقافتنا الماضية واستخراج تراث اسلافنا لنبني على اساسه الثقافة الجديدة .

اننا بشهادتي استاذين قديرين خبرا حياتنا الثقافية نثبت ما تقدم بعدما اعترف الاول اعترافاً ضمنياً بضعف تربيتنا العقلية واظهر الثاني ذاك صراحة ، آسفاً لما نحن عليه .

الحل الحكيم في توجيه تربيتنا العقلية

يتضح لنا مما سبق اننا بحاجة قصوى الى المعرفة ، هذه المعرفة التي تقودنا الى الحقيقة الراهنة ، فنفكر تفكيراً هادئاً صحيحاً في حل قضايانا الاجتماعية فنتوصل هكذا الى حياة ارغد مما نحن عليه الان .

فيجب والحالة هذه ان نسعى في مدارسنـا لتحسين وتقوية التفكير العلمي سواء أكان ذلك للتوصل الى الآراء والمعاني القيمة أم لتطبيق الافكار على وجه صحيح . فنخفف من حدة ذلك الخيال الجامح ، وقوة العاطفة التي تملكعلينا مشاعرنا . يقول ارنست رينان :

« منشأ التعصب هو العاطفة التي لم يهذبها العقل والتي تنطلق فرارة جامحة لا وازع لها من ارادة او تفكير » فاذا ما قضينا عن طريق هذه التربية العقلية حتى على التعصب الاعمى فاننـا لا نضعف في ذلك الايمان الصادق » ان قلة من المعرفة كما يقول باكون ، قد تسوق الى الكفر والالحاد ، ولكن كثرة من الفلسفة الطبيعية والخوض في اعماقهـا تهدي العقول والافهام الى الدين » .

ها هي التربية العقلية اللبنانية تقود الى الاستقلال الشخصي والاجتماعي ، فتهيئنا لبحث اهدافنا القومية على ضوء من الحقيقة . ان الشعب يكون اهلا لحكم نفسه بنفسه ، وجديراً ان يعيش حراً ، اذا كانت التربية التي يتلقاهاصحيحة متينة .

منير النصولي

شفيق معلوف

بقلم الياس ابو شبكة

حديثي في شفيق او في شعره واحد ، فما فرغ شفيق من شعره ولا فرغ شعره منه ، فهو مرآة لشعره وشعره مرآة له ، وكثيراً ما « يغتلي ارتيابي » في هذا الشعر حتى « تتقرى » فيه عيناي صورة شفيق بلحمه ودمه : فتلك السمرة الحادقة – تتداخلها روعة الخيال المبثوث في كل قسمة من قسمات وجهه حتى اذا انشق فمه عن ابتسامة عفّى ما فيها من ضوء الجاذب وحلاوته على ما في هذه القسمات من الاخيلة القاتمة او افرغا في اطيب مزيج من الضوء والظل – كتلك المخيلة المحلولكة تموج بمواكب طيوف واشباح مآتم الى اعراس جن وفراديس احلام .

وما أعرف شاعراً سُكب شعره فيه وسكب في شعره كشفيق معلوف ، فلاحدى وعشرين سنة خلت – وهو بعد في السابعة عشرة من عمره وانا في الثامنة عشرة – كنت اقرأ له شعراً ولا اعرف له وجهاً ، وكان شعره على حداثة نشئه يجري على عرق من الصدق حتى كأن ارماق نفسه تجمعت فيه . وفي يوم من ايام الربيع فيما انا ارفه النفس على ضفة نهر الكلب جاورت فتى في سحرة الشباب يرتفع بصره الى مشارف الوادي وينخفض الى مدى ما بين الجبلين ولا يسلخه عن هذا وتلك الا ليقتطف نظرة مما خلفه الازميل الفينيقي على حواشي الجبل . واني لاعرض مسح الذكاء على تلك السمرة الجذابة فاذا بذاكرتي تنصرف الى مقاطع من الشعر قرأتها لعهد قريب ، ولا ادري اي شعور وجداني اوحى الي ان هذا الشعر من هذا المنجم فآليت ألا اباعد ما بيني وبينه حتى اتثبت مما تداخل ذهني ، ولم تتوافر لي في ذلك الا وسيلة واحدة وهي ان الفظ اسمه عالياً فاذا اقبل علي والا انكفأت بخطائي ، ففعلت فاقبل فعرفت نفسي له . وهكذا عرفت شفيقاً من طريق التفرس فيه على ضوء شعره .

ومن ذلك الحين لم افرغه من مودتي ولم يفرغني منها ، وكثيراً ما كنا نجتمع على ضفة البردوني في زحلة فلا افرق بين حديثه وصمته وما يشيع فيه نفسه ويقلب به لسانه فكلاهما واحد هو الشعر . وفي صيف العام ١٩٢٤ ضمتنا ليلا غرفة واحدة فاقبل علي بسباعيات يتكىء فيها على دنيا من « الاحلام » وهي وان لم توف على الغاية من اداء مطالب الشعر كما نريده ويريده هو اليوم الا انها كانت امتن سلم الى « عبقر » وبين « الاحلام » و « عبقر » شبه كذلك الاثر الباقي على سيماء الكهل من الطفل .

وفي هذا دليل على الطبع الصادق في شعر شفيق معلوف ، فهو لا ينزل كلمة الا جرت بها سجيته ، ولا يرسل قافية ان اتصل لنفسه حس بها .

والشعر شفيق مزية اللغة ، فهي مطبوعة في نفسه كالشاعرية نفسها لا يجهد في تسويتها كما لا يجهد في تسوية المعنى ، فقد استقام طبعه بهما جميعا حتى لو تكلف ان يجيئك بالمسترخي من الكلام لما استطاع .

لو كان ما في السماء يلتهم   لما ارتوى منه قلبه النهم
يود والنيرات فائضة   لو ان جفنيه تحتهن فم
ويشتهي والرجوم هاوية   لو كان منها لروحه لقم
لا يأتلي يرمق السماء فهل   ضاع له في طباقها حلم
ام شام فوق النجوم آلهة   فضه ان يعيش تحتهم

في هذه الابيات الخمسة خمس صور تشعر بقوة بيانها وتطرب لقرار موسيقاها وتخشع في آن واحد لما تسلكه فيك من معنى جليل ولون رائع . ويمتاز قرار النغم في بيت شفيق باستبطانه فكرة او صورة ، ويمتاز البيت كله بثلاث : الموسيقى والصورة والفكرة ، في قوله :

ويشتهي والرجوم هاوية   لو كان منها لروحه لقم

مشهد الشاعر امام تراجم النجوم في الليل ، وقد آلمه ان يطعم من خفيف ما يطعم الدهماء من الناس فاشتهى لو كانت كل

نجمة لقمة من النور يستعين بها على تغذية روحه الطامحة الى النور الاعظم الشاعرة بفراغ لا يسده الاالقوى الكامنة في عناصر الطبيعة .

ويمتاز بيت شفيق ايضاً بانه لا ينتهي الى القافيـــة المألوفة في الضروب الحقيرة من الشعر ، اي الى قافية لا مناص منها لتكميل معنى البيت وكثيراً ما يحزرها السامع ، بل يجيئك في آخر هذا البيت بمثل ما يجيئك به المغني في قرار لم تألفـــه اذنك في الشائع المبتذل من النغم . فاللقم في هذا البيت مثلا ليست بمـــا يسمى « تحصيل حاصل » بل هي صورة او فكرة تتصل باحرفهـــا كل اعراق البيت كما تتصل اعراق الجسم بالدماغ . كما ان الفم في قوله :

يود والنيرات فائضة ... لو ان جفنيه تحتهن فم

صورة وفكرة في آن واحد ، فقد جعل انوار السماء غمراً طافحاً يفيض على الارض ، وتمنى ان تكون عينا الشاعر اللتان تنغمران بهذه الانوار فماً يبتلعها ، وبقافيتين جعل الرجوم والانوار طعاماً وشراباً للشاعر في موكب من الصور وغمرة من السماع .

ويمتاز شعر شفيق معلوف بثقافة وفن لا يكلف فيه ولا يعمل حتى كأن الفكرة تصطفي الفن من تلقائها ، فاسمعه يقول في وصف قصر الحمراء بغرناطة :

تالله قصر الحمراء لا برحت ... ترويك منا المدامع الحمر
انت على الشرق عبرة بقيت ... من مقلة الغرب كلها عبر

فأية صورة فنية رسمت خطوطها باصبغة من الدم اروع من هذه يقطعها الشاعر من عينه وقلبه . وهل اتيح لشاعر يتعمل الصورة ان يلون بقطرات من الدم ويروي بدموع من القلب فتحس لزوجة هذا الدم وتسمع تساقط هذه الدموع ؟ واية عين شرقية تنفتح على المجد الغابر فترى قصر غرناطة كأنه دمعة حمراء ما تزال عالقـــة باهداب الغرب وهي آخر ما افنى الغرب على الشرق من دموع حسرة ولوعة . . . اية عين شرقية تنفتح على هذا كله ولا تنغلق مخجولة حالمة بكبرياء . قوية في هيكل مضعوف ؟ واي لسان شرقي يتغنى مع الشاعر بمجد ما ابدع العرب في غرناطة ولا تكون غرناطة قرار هذا النغم ؟ .

ذلك مجد حضنته زمناً ... واغتاله فوق حضنك القدر
فكنت غرناطة على فمه ... آخر ما قال وهو يحتضر

وفي هذه القصيدة ابيات لا تبزها ابيات في قصيدة معاصرة . قال شفيق في مستهل قصيدته هذه :

كل الحضارات في بداءتها ... بدو وفي اوج عزها حضر
تورق بين الرماح غرستها ... وفي ظلال السيوف تزدهر
. . . يا سائل البدو عن حضارتهم ... ينبيك عنها الصوان والحجر
فاستنبئ اشبيليا وقرطبة ... تجبك تلك المعاهد الزهر
لهم حديث لدى طليطلة ... وعند غرناطة لهم خبر

وقال يصف السقوف المموهة والنقوش المحلاة في قصر الحمراء وقد خلفها الفن العربي مجراة على ابدع طراز غرة على جبين الغرب :

من فنهم رفهوك في برد ... بها تتيه السقوف والجدر
لم يخلعوها عليك من خزف ... كلا ولا شاب اصلها مدر
لكنها من قلوبهم قطع ... ومن بقايا سيوفهم كسر

وقال ايضاً وقد خيل اليه انه يسمع عويلا ينبعث من ساحة الاسود في قصر الحمراء :

ما تلك جن في الدار عازفة ... ولا شكاة يبثها الشجر
لكن في ساحها صراخ دم ... ابر ابنائه به كفروا
. . . جسر الى الغرب مده نفر ... وهده عن جهالة نفر

وفي تقديري ان شعراً من هذا الطراز في الرجولة يجريه شاعر في صدر شبابه ينبىء بحدث عظيم في الادب العربي . ولكم يضأل في عيني ويدق — كلما قرأت شعراً من هذا النسيج — اولئك الذين لا يتكئون الا على البهرج والتزييف ولا يقعون في شعرهم الا على تزاويق من الكلام الرخو .

الياس ابو شبكة

توفيق يوسف عواد والقصة

بين صاحب « الاديب » وموءلف « المعلم » صداقة ترجع الى عهد بعيد ،
ولقد كانا بالامس ينبشان دفاترهما العتيقة ، فعثر الاستاذ البير اديب بين
اوراقه على فقرات من مقال غير ناجز شرع بكتابته على اثر
صدور «الصبي الاعرج وقصص اخرى» للاستاذ توفيق
عواد (سنة ١٩٣٦) يتضمن ملاحظات واراء
حول القصة في لبنان .
وقد رأت « الاديب » لمناسبة نشر اقصوصة « المعلم » (صفحة ١٧)
ان تخرج المقال المذكور من الدرج ، وتنشره هنا .

« الاديب »

◆

اصدر توفيق عواد سنة ١٩٣٦ « الصبي الاعرج » فاذا به يعنى بالقصة في لبنان ، وهي الناحية المهملة في ادبنا .

فالقصة اللبنانية ضيقة على قدر الوسط الاجتماعي الضيق الذي نعيش فيه ، ولا يصح لها ان تتسع مخافة ان تشبه في وجوهها اية قصة من قصص اي بلد آخر .

ان القصة عندنا هي قصة القرية الضيقة الحدود عند كتف الجبل وتنتهي تحت قدميه في الوادي . فآفاق في الطبيعة شاسعة ، من تل ، الى سهل ، الى غاب ظليل ، الى نبع مترقرق ، الى عجوز شمطاء وعكازها ، الى موقد في الشتاء العاصف ، الى كتاب من مهاجر ، الى عودة ذلك المهاجر ، الى انتفاخ صدر فتاة طروب لعوب كانت تتلاقى عند العين بفتى طليع من صباح الفتيان ، الى رقص « الدبكة » و«قدح العرق» و «جرن الكبة» الى قرع الناقوس يوم عيد شفيع الكنيسة ، الى احد الشعانين الابيض النخيل ، الى اطفال يلعبون ، الى الكاهن الجليل والمختار اللبق والناطور اليقظان .

هذه هي نواحي القصة اللبنانية الصميمة ، تقطع انت حوادثها كما تقطع الجبل بسيارتك ذات «السلندرات» الثمانية من «الموديل» الحديث . فكيف يصح ان تساوي بينها وبين باريس الحمراء الملتهبة ، الغافية على جمرات الشهوة الباسمة ، ذات ملايين السكان ، وحوادثها ذات ملايين العدد ، جفنها ابداً مفتوح ، واليقظة فيها دائمة ، وما قصاصها سوى عابر طريق ؟ وكيف يصح ان تقابل بين قصاص هذه وتلك ؟

على انك حين تتعرف الى الجبل من وراء زجاج « البويك » تحجب السرعة الخاطفة دخائل القرية ، فلا ترى غير الجمال السريع في الاشجار المتشابكة والسهول التي تدور على نفسها . لكن توفيقاً لم يتعرف بعد الى السيارة والحمد لله ، فهو يقطع الجبل على قدميه ، فيتكشف أمامه ما خفي عنك من جمال متغلغل هنا وهنالك في اعماق قلب الطبيعة واعماق افئدة الناس . فاذا هو راح يصور الطبيعة ، جاءت ريشته بالوان حية صادقة ، فتنقل تلك الريشة البارعة ، العابس من ألوان الحياة والزاهي منها على اصلها ورونقها ، والعفاء بعد ذلك على « رتوش » اهل «الكاميرا» ! .

قلت ان القصة اللبنانية ضيقة على قدر الوسط الاجتماعي الضيق الذي نعيش فيه ، وقد عانى توفيق من هذا الضيق شيئاً بل اشياء لو عاناها امرؤ قليل ايمان النفس ، لاشاح بوجهه عن فن القصة .

وها انا اسرد لك قصة واحدة من قصص توفيق في القصة :

كان ذلك في سنة ١٩٣١ وكان توفيق يحرر في « النداء » ويحاول محاولاته الاولى في القصة اللبنانية ، وكنت أرقب تلك المحاولة واعجب لها كثيراً . ففي احد الايام نشر توفيق قصة عنوانها « المتوالية الحسناء » . وما مضى يومان على ظهور القصة حتى قامت لها الدنيا وقعدت ، فقد رأى فيها اخواننا الشيعيون ما لم يره سواهم ،

فانهالوا على «النداء» بسيل من البرقيات وعرائض الاحتجاج فضلا عن الوفود . ورأى توفيق ان يتدارك الامر بالتي هي احسن فاعلن في « النداء » «خبر اخراج المحرر ت ع . » من الجريدة، عقوبة له وقصاصاً . فهدأت العاصفه وارتاح اخواننا للحل ، واتخذ توفيق لنفسه من ذلك اليوم «حماداً» اسماً مستعاراً . ولقد سررت يومذاك لهذه الاحتجاجات واتخذت هذه «العناية» مقياساً لاهتمام الناس بتوفيق ، ومن يومذاك انقلبت نقمته وتحولت الى المجتمع بعد ان كانت وقفاً على «ممسخ» ابطال قصصه واصبح بطل القصة عنده جسراً يعبره الى مهاجمة المجتمع واثارة حفيظة القاريء عليه .

اما طريقة توفيق في القصة فطريقة خاصة به . فهو لا يترك لفتة للقاري، . تراه يرى ويفكر ويستنتج ويروي لك كل ذلك ، فلا يبقي بارقة في خاطر لك ، ولا زاوية من فكر ، فكأنما انت مكره على رؤية ما يراه ، بالشكل الذي يراه ، وان تفكر كما يفكر ، وتستنتج ما استنتجه لك مقدماً ، حتى لتكاد تحس شخصيتك وتفقدها امام انانية الاديب وصلفه . فهو في هذا النوع من القصة قد نهج النهج الذي سلكه « مارسيل بريفو » وامثاله والذي ينحصر في لباقة الحوادث وبراعة الرواية، اذا وفق فيهما المؤلف نال من نفسية القاريء ما اراد دون عناء .

على ان لنهج توفيق ميزة ، ولطريقته فائدة في توجيه ذهن القارىء ، الذي لم يألف بعدالتحليل والاستنتاج الشخصي في افق هذا البلد الضيق !!!

البير اديب



١ – ابتداء من الجزء الرابع رفع ثمن الجزء الى ٥٠ غ ٠ ل ٠ عوضاً عن ٤٠

٢ – يبقى بدل الاشتراك على حاله . ولا يقبل الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني غير ان الادارة لا تتعهد بارسال الجزء الاول عن السنة الحالية لنفاد نسخه .

٣ – يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل

٤ – كل المقالات والابحاث التي ترسل الى « الاديب » لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

٥ – تكون جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

تتمة المنشور في الصفحة ٨

وقال له : « ما هذه الرسالة السخيفة ؟ » فسأله الكاتب : « وما برهانك على سخافتها يا مولاي؟» فاجابه : « انها من البساطة بحيث فهمتها انا » فغاب الكاتب ساعة ثم عاد برسالة ثانيـة قرأها على السلطان فلم يفهم منها شيئاً ، فهتف معجباً : «لقد وفقت هذه المرة، انها لرسالة تليق بملك عظيم . » ويبدو ان ادباءنا لا يزالون يحسبون قراءهم على غرار هذا السلطان في زمن لم يبق الادب فيه وقفاً على السلاطين بل صار صرخة الشعوب ومجلى نضال الاحرار ، بل يبدو ان خداع الادباء لم يبق مقتصراً على القراء فصاروا يخادعون انفسهم عن حقيقتهم وحقيقة ما يكتبون .

صورتان تتصارعان في حياتنا الادبية ، واحدة اقتبسناها من الادب العربي القديم او من الجوانب الضعيفة في هذا الادب على الاصح ، تكبر من شأن الشاعر والناثر اذا احسن صياغة الكلام وعرف كيف يستخدمه لاكتساب الحظوة والمال . واخرى اقتبسناها من الادب الغربي الحديث او من الجوانب الضعيفة في هذا الادب على الاصح، تكبر من شأن الاديب كلما امعن في الشذوذ والتشاؤم والتحليق فوق الناس وحياة الناس .

وكل من هاتين الصورتين خاطئة مشوهة لتمثل الاديب الحق ، ذلك الانسان الذي يعيش في مجتمع الناس ويعبر بما اوتي من شعور مرهف وموهبة رفيعة ، عن يأسهم وطموحهم ، عن ألمهم وفرحهم ، ويقودهم بما اوتي من رجاحة الرأي وبعد النظر الى آفاق الحيـاة السعيدة .

لكل امة ، في كل عصر ، ادب ينطبع بطابع حياتها الاجتماعية وحاجاتها الاقتصادية والمعضلات التي تعانيها وتحاول ان تجد لها حلا في مرحلة من مراحـل تطورها . فالادب في عصر توماس مان لا يمكن ان يكون شبيهاً بالادب في عصر هومـير ، والادب الذي نتتجه اليوم في مطالع نهضتنا لا يصح ان يكون مماثـلا للادب الذي انتجه عصر العباسيين اذ مالت دولتهم الى الزوال .

نحن اليوم في عصر النضال الاجتماعي والثورة على الظلم والتطلع الى مستقبل سعيد حر ، قد نبـذل من اجله دماءنـا ، فمن الطبيعي ومن اللازم ، ان يعبر ادبنا عن كل هذا وان يقودنا الى الاهداف الصحيحة التي تستهدفها امة تريد الحياة .

لقد تطورت الدنيا وتغير اساوب العيش ، وحلت معضـلات جديدة محل المعضلات القديمة ، ودخلت الآلة في حياة الانسان ، وغدت صلة الفرد بالامة وصلة الامة بالامم على غير ما كان يعرف اجدادنا ويألفون . ولا يزال اساتذة الادب يهتدون بهدي الجرجاني وابن قدامة ، ويوجهون الادباء الناشئين التوجيه الذي اقترحه أناس لم يعرفوا ما عرفنا، ولا تألموا كما تألمنا، ولا رأوا ما نراه من المتناقضات المعقدة المركبة . لقد تطورت الدنيا وتغير اسلوب العيش، ولا يزال نتاجنا الادبي يوزن بموازين تمخض بها عصر بعيد عنا لا نعرفه ولا يشبه عصرنا بحال من الاحوال .

ـ وقد كان لقواعد النقد ، بما فيها من اضطراب وتناقض وبعد عن روح العصر ، اثر كبير في تصوير الادب على غير الصورة التي ينبغي ان تكون له في مجتمعنا وعصرنا ، فخدعت الجماهير عنـه وخدعت الاديب عن حقيقته ، ومن ثم انفتحت الهوة التي تفصـل اليوم بين الادباء والجماهير .

وليت شعري كيف يؤدي الناقدون الرسالة الصحيحة، وموازينهم حائرة مضطربة متناقضة ؟ أعرف كتاباً خمسـة تعلو اصواتهم في البلاد العربية على كل صوت ، وينتشر رأيهم اكثر من اي رأي ، فاذا اثنوا على فرد من الافراد صار في اعين الناشئة الساذجة مثالا يقتدى به ، واذا اطروا كتاباً غدا مثلا يحتذى ، واذا ادلوا برأي من الآراء في حدث من الاحداث او علة من العلل كان رأيهم القول الفصل والحكم الذي لا يرد . ونحن اذا سبرنا غور هؤلاء رأيناهم يختلفون في كل شيء ، ويتفقون في امرين : احدهما عدم شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم ، وثانيهما مخادعة الجيل الطالع لاستثمار مراكزهم وضمان سيادتهم :

هذا كاتب لا يعرف ولا يفهم ، ولا يصدر حكماً ، الا من خلال ما حفظ من ادب الاطلال الدوائر ، فهو لا يفتأ يجر الشباب السائر ليلوي عنقه الى الوراء ، ويرد القضايا الاجتماعية والاحداث السياسية الى النزوات الخلقية والنزعات الشخصية ويقيسها بمقاييس عتيقة وضعها مجتمع غابر لم يبلغ المدى الذي بلغه مجتمعنا الحاضر من التطور الفكري والمادي .

وهذا كاتب ينهب مؤلفات المستشرقين ويطلع بها علينا كأنها نتاج دراسته وخبرته ، وهو لا يحكم في امر من الامور الا مسترشداً برأي اجنبي مهما بلغ من المعرفة بلغتنا والاطلاع على حياتنا فهو غير مستطيع ان يتذوق ادبنا كما نتذوقه ، وأن يفهمه كما نفهمه ، او ان يدرك مدى ما بين القطعة الادبية التي يقرأها لاحـد كتابنا وبين المجتمع الذي نعيش فيه من تجاوب او تنافر .

وهذا ثالث صدف منذ شبابه عن الادب العربي والتفكير العربي ، وانصرف الى قراءة المؤلفات الغربية ،فعاش –في الكتاب– على ضفاف السين والتاميز اكثر مما عاش على ضفاف بردى والعاصي ، وهو يريد منا ان نحاكي النتاج الغربي محاكاة مقلد فاقد الشخصية ، ويدعونا الى الاعراض عن مجتمعنا وما يثير صراعه في نفوسنا من المشاعر ، لكي نترسم خطى رمبو وادكار بو ، ونبحث مع بودلير عن اللذة في اعماق الالم .

وهذا كاتب مجدد لا يفتأ يصيح : « دعونا من قصائد المدح والهجاء والتهنئة والرثاء . » ولا يعرف صاحبنا ان جديده أضحى قديماً ، وانه وقف حيث سار الناس ، وان الدعوة الى هجر المواضيع القديمة يجب ان تصحبها دعوة الى مواضيع جديدة لاصقة بحياتنا مستمدة من همومنا ومطامحنا .

وهذا كاتب آخر لا يؤلف ولا يحاضر ولا ينقد الا بعد ان يلقي على نفسه امثال هذه الاسئلة : « كم اربح اذا أيدت هذا الرأي وكم أخسر اذا ناهضته ، من يرضي هذا المذهب او يسخط من الافراد والهيئات ؟ كم نسخة أبيع في المدرسة الفلانية اذا وضعت كتاباً عن ابي نواس ؟ لكن ابا نواس شاعر ماجن ، وقد لا يرضي كتابي فلاناً وفلاناً فلا يعنيان ببيعه كما عنيا بكتاب السنة الماضية . خير لي ان اؤلف كتاباً عن الشريف الرضي ، فهذا شاعر اخلاقي يرضى عنه المربون جميعاً وينصحون طلابهم بقراءته ، فضلاً عن أن الطائفة الشيعية ستشتري منه نسخاً عديدة . فلأضع اذن كتاباً عن الرضي ، وفي السنة الاتية اؤلف كتاباً ارضي به أهل السنة . » وبعد ان يجمع ويطرح ، يضع في ضوء هذه الارقام تصميمه عن عن الكتاب الذي «يجب» ان يكتبه ، او الرأي الذي «يجب» ان يذيعه ، او النقد الذي «يجب» ان يوجهه لمؤلف من المؤلفات الحديثة

هؤلاء خمسة من كبار الكتاب والنقاد في البلاد العربية ،لهم الصوت المسموع والنداء المستجاب والتأثير الشامل ، ولولا خشية الاطالة لعرضت لكم نماذج طريفة اخرى . فاين هم من الادب الخالق نقراه بروح ونخرج منه بروح ، الادب الذي تشيع الحياة في الفاظه ومعانيه فيغمر القارىء بفنه ، ويصله بالكون فيراه امامه بحقائقه وغوامضه مسطوراً نابضاً ، ويحيا به في ساعة واحدة حياة حافلة بالاحداث ؟

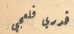
اين هؤلاء من الواجب الذي تصدوا له ، والرسالة التي أرادوا تأديتها او التي يزعمون انهم يؤدونها ؟ وما هو الاثر الذي يخلفونه في حياتنا الادبية وفي حياتنا الاجتماعية ؟ أتراهم يوجهون خطانا ويسيرون بنا الى الامام مع قافلة الانسانية السائرة ، ام انهم يضاعفون الفوضى وينشرون القلق ، ويعطلون موازين الاحكام ؟

لو كان خطر هؤلاء منحصراً في دائرة محدودة لكان امره يسيراً ، ولكن ادباءنا عافاهم الله ، متطوعون ، من اكبر كاتب فيهم الى أصغر متأدب ، في معالجة جميع المواضيع . ويكفي ان تستقيم لاحدهم لغة صحيحة وان يقرأ بضع قصائد وروايات ،حتى يملأ الدنيا ضجيجاً : يكتب في الادب ، ويكتب في السياسة ، ويكتب في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع ،ويجادل في الحق وفي الباطل ، ولكي يبرهن على صحة رأيه في كارثة فرنسا ، او في تعاليم ماركس او في الازمة الاقتصادية ، يستشهد ببيت من الشعر قاله شاعر عربي في حرب البسوس منذ الف عام .

على الادباء والنقاد – وكل ادبائنا ناقدون اجتماعيون وسياسيون واقتصاديون وفلاسفة – على الادباء والنقاد ، ولاسيما الكبار منهم – ومن هو الصغير فيهم ؟ – ان يلموا بمبادىء العلوم الاجتماعية قبل ان يتصدوا لتوجيه المجتمع ، وقبل ان يغدقوا عليه فيضاً من الاحكام المطلقة والخواطر الغامضة . على الادباء ان يتثقفوا ثقافة صحيحة ، ليس قوامها الصرف والنحو والبيان والعروض ، بل فهم قوانين الطبيعة والتاريخ والمجتمع ، وتوجيه الناس في ضوء هذه القوانين .

ولو تم هذا لخلا نتاج الادباء الذين يتأثرهم الناشئون من تعابير مضحكة تملأه وتزخر فيه ، تعابير غيبية تصور معضلات المجتمع برموز الصوفيين ، وتحاول حل مشاكل العصر الحديث بمواعظ العصور البدائية الخالية او باوهام شاعر غربي مجنون !

ومتى صارت تعابيرنا واقعية مفهومة ، متى أدركنا معنى كل كلمة نكتبها ، متى فهمنا ما هو الشعب ، وما هي الدولة ، وما هي الاسباب الحقيقية التي تثير الجماعات على الجماعات والامم على الامم ، متى عرفنا كيف نرد النتائج الى المقدمات ونعرف من المقدمات نتائجها ، متى درسنا التاريخ في ضوء المادة ورأينا الطريق التي تنهجها البشرية في تطورها ، متى عرفنا كل هذا يشعر الادباء والناقدون منا بالمسؤولية الكبرى التي يحملون ، ويؤدون رسالتهم على وجهها الاكمل ، ويقومون بنبذ الدخيل وابقاء الاصيل ، وتمجيد الصالح في الادب وفي الحياة .



الطيف !!

لعبد الرحمن الخميسي

«نظمت هذه القصيدة في حالة من المرض الشديد الذي اشرف بي على الموت اصور فيها ليلة ليلاء كابدتها وانا بين ليل اليأس وصباح الرجاء ... وليس يسعني الان الا أن (اهدي الطيف) الى اخي الحبيب الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي فقد قدر الله لي على يديه الشفاء ..

◆

هدني الداء يا حبيبي وعانقـ … ـت وراء الهزال طيف المنيه
وتفجرت في صميمي اشوا … قا الى خمرة الهوى القدسيه
فاسقنيها في قبلة تتغنى … بحنيني على الشفاه شجيه
قبل ان تعصف المنون بعمري … عصفة الريح بالزهور النديه
ثم امضي في ركبها خفقات … صاعدات نحو السماء نقيه
فهي (١) زادي متى رجعت الى الله وحسبي … من رحلتي الارضية

○

عربدت في جوانحي يا حبيبي … لهفات على حياتي الشقيه
فاعتكار الضباب تحت سمائي … حجب الصحو عن عيوني السخيه
واقتيال الاشواك في خطواتي … قدمي .. حرم السير عليه !
واختناق الرجاء في حلكة اليأ … س ، اراق الدموع من اسوديه
واعتلاج الحرمان في صبواتي … حبب القفر والسراب اليه
فسلخت الايام : وهي قشور … كشفت عن معادني العلويه
وطرحت السنين : وهي قيود … كبلت روحي بالدنى السفليه
في بوادي الحرمان ، في لهب الاشـ … ـواق ، في السقم في جوى الشاعريه

○

اظلم الحزن في سماوة حسي … واستبدت بي غربتي الروحيه
فتهاويت في خرائب قلبي … فوق هول يمد كالابديه
نعب البوم في متاهته الجر … داء يغري نعيبه جانبيه
ومشى الرعب في مسالك نفسي … بعد ان غال اليأس كل رجيه
يأكل السلوى والعزاء ويذكي … بين اطوائي ناره السقريه ،
فتهافت فوق اطلال امسي … اندب الحب والاماني القصيه
واذا انت يا حبيبي لعيني … قد تراءيت صورة قدسيه
وتهاديت في خيالي خيالا … يوقظ العزم في قواي الخفيه
وتغلغلت في دمائي شبابا … يتغنى بالبأس في اذنيه
واذا بي احس اني عتي … جزم الموت والخطوب العتيه
فتمردت من جديد على الدهـ … ـر وامسكت بالمنى في يديه
وتنكرت للزمان كما لو … كنت ندا له رهيب الطويه
وتشبثت بالحياة ومزقـ … ـت الظلام الكثيف عن مقلتيه

---

(١) هي : اي القبلة

وزرعت الامال في حقل عمري   فزهت فيه كالورود الشذيه
وترنمت بالاغاريد فرحي   ثملات بنشوتي الوهمية
وكأني – والداء ينهش اوصا   لي – بريء من ازمتي الصدرية
وكأني – والحب ذهب احلا   مي – رب جز وجه البريه
ويدك الصعاب دكا ويبني   فوق انقاضها حياة فتية

○

ما دهاني ؟ وما يفتق اكما   م ميولي الى الحياة البهية
ما عراني ؟ حتى تناسيت اوجا   عي والقيت الغم عن كتفيه ؟
ما الذي زخرف الوجود لعيني ؟   ما الذي بدل الحياة رضيه ؟
وكساها الجمال ثوبا قشيبا   يبهر اللب والنهى والسجيه ؟
ما الذي بغض المنون (١) لذاتي ؟   فتمنيت عيشة سرمدية ،
ايها الطيف يا رسول حبيبي   انت من اضرم الحرارة فيه ،
وحباني على الرزايا فؤادا   حررته من ضعفه الحيويه ،
واراني محاسن الكون حتى   كدت أهوى دمامة البشريه
ايها الطيف ، يا رسول حبيبي   واسقني من كؤوسك الوهمية :
خمرة الحب والشباب ودعني   اتفيأ ظلالك العطريه
فهجير الزمان حرق اقدا   مي وغشى غبارة ناظريه
ايها الطيف ، ايها الطيف ، مهلا ،   اين تمضي عن سجدتي النسكيه ؟
ويلتا ، اين انت مني ؟ توارت   عن عيوني سماتك النوريه ،

○

واذا بي في مخدع ينهب الصمـ   ـت مداه نحب الاسى جانبيه
اتلاشى في حسرتي ، ودموعي   عقدتها الاتراح في عينيه
والظلام المريد يخطف آما   لي ويبقي النواح في شفتيه
وانين الاشباح يملأ اغوا   ري خوفا ورهبة ابديه
واحتدام الهواجس السود في رأ   سي هوى بي في هوة ناريه
اوقدتها الاقدار لي ولاضرا   بي من المنكوبين بالشاعريه
واذا الفجر قد اطل بوسنا   ه يهدي طيوبه السحريه
والارانين حول اشجاره تد   ري رقاقا من العشاش الهنيه
واذا النور قد تساقط كالدر –   خلال النوافذ الشرقيه
واذا بي صحوت من سكراتي   وجنتي تشرب الدموع العصيه
واذا الكون يستفيق مع الطيـ   ـر ويشدو مع الحياة الرضيه
وانا هامد على الارض أسوا   ن اغني من لوعتي اغنيه :
« هدني الداء يا حبيبي وعانقـ   ـت وراء الهزال طيف المنيه »
« وتفجرت من صميمي اشوا   قا الى خمرة الهوى القدسيه »
« فاسقنيها في قبلة تتغنى   بحنيني على الشفاه شجيه »
« قبل ان تعصف المنون بعمري   عصفة الريح بالزهور النديه »
« ثم امضي في ركبها خفقات   صاعدات نحو السماء نقيه »
« فهي زادي متى رجعت الى الله وحسبي من رحلتي الارضيه »

القاهرة — عبد الرحمن الخميسي

---

(١) قبل ان اسجل خواطر هذه القصيدة نظمت ملحمة (فجر الموت) نشرت نشيدها الاول (اشواق) في المقتطف والثقافة وفي الملحمة اشواق للموت ما كنت احسبها تنطفىء

المفكرة الريفية لامين نخلة

في تاريخ الادب خلاف قديم لم يفصل فيه حتى اليوم . فقد قال فريق من المؤرخين ان الادب ينهض في عصور الشدة والاضطراب ، وقال فريق آخر انه بالضد ينهض في عصور الدعة واللين .

وبين ايدينا الان هذا الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ نخلة احد امراء الادب العربي في العصر الحاضر ، فنحن لا يقع نظرنا على صفحاته الاولى حتى نذكر قضية ذلك الخلاف ، وحتى يخطر لنا ان الرأي في القضية هو على الارجح في جانب مؤرخي الادب الذين يقولون بنهوض الاداب في ايام الشدائد لا في ايام الرخاء .

ومها يكن من الامر ، فان صدور (المفكرة الريفية) في ايام الحرب – هذا الكتاب الذي يعد يوم صدوره في تاريخ الادب العربي يوماً له ما بعده عند كتاب العربية وشعرائها ، نقول انه مها يكن من الامر فان هذا الكتاب الجديد سيكون في المكتبة العربية ، وعند جمهور قرائها ، موضوع كلام طويل ، سواء من ناحية الفصاحة العربية الذي بلغ الكتاب اوجها العالي ، او من ناحية الرسالة الادبية الاجتماعية الجديدة التي يحملها الى الامة .

و (المفكرة) اول كتـاب ادبي يخرجه الاستاذ نخلة الى عالم المطالعة . وقد كان من اعجب الاشياء ان يوجد في ادبنا (مدرسة) اسمها (مدرسة امين نخلة) لها تلامذة في الكتاب وفي الشعراء ، ولها عشاق يتهافتون على تقليد اساليبها البيانية وعلى نقل الفـاظ امين نخلة وآراء امين نخلة بين الادب والاجتماع ، في حين انه لم يكن لأمين نخله كتاب واحد في عالم المطالعة ، فكانت تلك (المدرسة) الادبية ، مدرسة بلا كتاب ، ودينا جديداً في الادب العربي بلا انجيل خاص به ، ولم يكن لكاتب عربي ولا لشاعر عربي من الحظ في تقليد الناس لاسلوبـه والنسج على منواله ، كما كان لامين نخلة . في لبنان خاصة وفي سوريا والعراق وفلسطين كتاب وشعراء تشم رائحة امين نخلة في كل قطعة نثرية او شعرية من آثارهم . حتى لقد كتب احد الظرفاء مرة انه اذا كان الاسلوب في الادب (مكروباً) كريماً يعدي كما تعدي الجراثيم غير الكريمة فمكروب الامين اعدى مكروبات الادب العربي المعاصر .

وهذا التقليد لادب امين نخلة ، بل ان هذا الادب (النخلي) المتفرد بكثرة المقلدين له والضاربين على قالبه ، والناسجين على منواله ، معناه انه هو الادب المتبوع ، ومعناه ايضاً انه هو الادب المنشود . ولو لم تكن الحال هكذا ، لما قلده ولا جرى على خطواته فريق كبير من ناشئة الادب وعشاقه ، منذ عشرين سنة الى اليوم .

واذن فهذا الكتاب هو الينابيع الاصلية للجداول الكثيرة التي استقت منه واخذت عنه ، لان كثيراً من فصوله قد ذاع وملأ الاسماع والصحف قبل ان يجمع في كتاب ويمثل للطبع .

وهذا الكتاب هو رسالة ادبية باقوى معاني الرسالة ، وهو في الوقت نفسه رسالة اجتماعية ايضاً ، ورسالة وطنية تحبب الى النـاس تراب الوطن وتلفت خواطرهم وقلوبهم نحو مساقط رؤوسهم ، وديار نشأتهم ، وتاريخهم المحلي وتقاليدهم وحرماتهم الاجتماعية الموروثة .

اما وجهة الكتاب الادبية – وهي التي نعنيها في كلمتنا هذه – فالكلام فيها يطول كثيراً ، لذلك نلم بها من طريق الاشارة لا من طريق التقصي البعيد الذي سنعود اليه في احد اجزائنا المقبلة .

ان مبنى الكتاب ، ونريد اسلوبه ولغته ، حسبه ان يكون من قلم امين نخلة الذي يسيل فصاحة . فهناك لغة في اعلى مراتب الصحة والرونق والضبط ، واسلوب لم يسبق اليه في اساليب كتاب العربية ، اسلوب عليه طابع امين وروح امين وخصائص امين ، فهو المقلد لا المقلِد . ومن الحق ان نذكر ان كل تقليد لهذا الاسلوب لا يأتي معه في الغالب كما قال حافظ ابرهيم في تعريبه (البؤساء) لفيكتور هوغو : كالحسناء وخيالها في المرآة . .

واما آراء الكتاب الادبية فهي متعددة بين بحث القديم والجديد في الادب ، وبحث الاسلوب القصصي في العربية ، ونمط شعراء الجيلين الحاضر والماضي وكتابهما ، والكلام على الجملة والتفاصيل في ما يسميه الاستاذ نخلة (الصنيع الفني) ، والتبسط في طرائق النقد الادبي ومقاييسه ، فضلا عن فصول سخرية ممتعة هي من ارفع الطبقات في اساليب السخر الفني ، والغمز البارع .

واغلى ما يبدو لنا في الكتاب هو ذلك التجدد في جميع اشيائه واساليبه وآرائه . ففيه صياغة في الكلام جديدة ، وخواطر في الادب والاجتماع جديدة ، واساليب وطرائق ونقد وسخشرية كلها جديد في جديد .

وهو من اول صفحة فيه الى آخر صفحة رسالة فكرية ذات مبتدأ ومنتهى ، بل ذات خريطة فنية كل شيء فيها وضع في محله المتحتم . وهـذا ما نفهمه نحن من معنى الكتاب الادبي ذي الرسالة .

وانك لا تستطيع وانت تقرأ (المفكرة) ان تتذكر كاتباً عربياً قد قال ذلك القول مثلا ، ولا كاتباً اجنبياً قد نحج ذلك النهج ، او خلق ذلك الخلق الفني الطريف ، بل انت في (المفكرة) تستشعر في كل صفحة من صفحاتها انك في جو من الادب ، وناحية من الفن ، لا عهد لك قبلا بمثلها ، ولا معرفة لك بها . وهذا من اجلى مظاهر الادب الصحيح والفن الخالد .

وعلى الجملة فان الادب العربي يحتفل اليوم بصدور (المفكرة الريفية) احتفالا لن تعوقه الشدائد والحوادث الحاضرة . وان لصدور هذا الكتاب الخالد معنى يتعالى عن كل حدث زائل ، فالفكر لا تعوقه ظروف الزمان ولا ظروف المكان .

واذا كان لنا ان نتمنى شيئاً في خاتمة هذا الكلام ، فهو ان يعقب صدور هذا (الانجيل) الادبي (النخلي) اناجيل ادبية (نخلية) عديدة فالادب الحي ، الادب الصحيح الذي يعيش مع الدهر ، من حق الجماهير على صاحبه ان لا يخزنه عنهم ، ويبخل به عليهم .

وبعد ، فيا ايها القارىء اننا نلح عليك بان تقرأ هذا الكتاب .

البير اديب



قطرات ندى

الاستاذ راجي الراعي وجه جميل من وجوه الادب في هذا العصر ، تفرد بخيال عـال على اللحظ يتجمع أصفى الموارد من أوسع ثقافة وأنقى بيان . وهو وان جلّى في مختلف الاساليب الادبية الا انه يبقى نسيج وحده في الطريقـة التي ابتدعها في « قطرات ندى » وفي قطرات ندى نقع على جميع ألوان الادب من شعر وحكمة في لغـة مأخوذة من متخيّر منـاجم الفكر والشعور .

وقد سبق للاستاذ راجي الراعي ان أصـدر من « قطراته » مجموعات هي ثروة للمكتبة العربية ، واصدر لايام خلت مجموعـة صغيرة من هذه القطرات «١» رأينا ان نقتطف منها لهذا الجزء من « الاديب » نماذج رائعة من قوة الحس :

الضباب فكرة غمضت في دماغ الطبيعة .

الصحراء يد مبسوطة تتسول الماء .

الجبال عناد الطبيعة والماء خلقها الدمث .

الزمان فم لعابه الامل ولسانه التاريخ ولقمته العمر ونابـه الموت ...

الاساطير هوس التاريخ وتهاويله .

الشمم هو ما ارتفع فيك من الهضاب والقمم .

الحصاة حجر يذوب هياماً بالماء .

الرماد نار شابت .

الامثال دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس .

كلما احتك الخالق بخليقته سكنت رياح الفكر وتألق في سماء الايمان كوكب جديد .

الله هو الطيب يفوح ريحه في العبقرية .

اذا لم تسلحك العزلة فانت في الحياة رجل أعزل .

في القمة شيء يقول لك : تم .

الشيخوخة والطفولة تلتقيان في الهزيع الاخير من ليل الحياة كأنها على موعد لتسيرا معاً في طريق الآخرة ...

ترددنا الحياة باعوامها حتى اذا امتلأت بنا شرايينها واوردتها صبّتنا دماً في كؤوس الموت ليثمل ويعربد على رؤوسنا !

الخيال هو الذي يسقي شجرة الحب ويغذيها ويبسط أغصانها وظلالها في القلب .

الهلال الذهبي

ينقضي اليوم خمسون سنة على تأسيس المرحوم جرجي زيدان مجلة « الهلال » ، وقد أعلمتنا اسرة «الهلال» انها اعتزمت ان تصدر لهذه المناسبة كتاباً ذهبياً كبير الحجم زاخر المادة فاخر الاخراج يصور التطور العلمي والادبي والاجتماعي في مـدى نصف قرن . ولما كان اعداد هذا الكتاب الذهبي يتطلب وقتاً طويلا ومجهوداً شاقاً فانه لن يصدر قبل اواخر هذا الصيف على ان يحل محل اعداد نوار وحزيران وتموز وآب .

ولا شك في ان الكتاب الذهبي الذي تهيئه ادارة « الهلال » بمؤازرة صفوة ادباء العرب سيكون ثروة نفيسة للمكتبة العربية واكليلا يضفر على جبين هذه المجلة التي ما برحت منذ نصف قرن تواصل تقاليد منشئها الخالد الاثر .

في البستان القديم

وعدنا القراء في الجزء الاخير من « الاديب » بنشر دراسة وافية عن هذه المجموعة الشعرية التي أصدرها باللغة الفرنسية الاستاذ احمد راسم ، محافظ السويس . وقد اضطررنا الى تأجيل نشر هذه الدراسة الى الجزء التالي .

رسائل في النضال «١»

مجوعة من الفصول السياسية للسيد جورج برنانوس ، تحتوي أحد عشر فصلا نشر بعضها او اذيع في العهـد الذي عقب اعلان الهدنة بين المانيا وحكومة فيشي . ففي الفصل الاول يخاطب المؤلف

(١) قطرات ندى : المطبعة الاميركانية بيروت ١٩٤٢

«1» Ecrits de Combat - Georges Bernanos. Beyrouth 1942

الفرنسيين قائلا لهم ان أجدادهم كانوا أحراراً وان جميع التلامذة الفرنسيين في القرن الثالث عشر او السابع عشر ربوا في محبة الجمهوريات الحرة فلا رابله ولا كورنيل ولا باسكال ولا مونتين ولا أي من أساتذة الفكر كان قبل الفاشستية او النازية، هذه الصوفية البربرية التي تزعم انها تصلح العائلة على أساس نظام اجتماعي يذوب فيه الاب والام والزوج والزوجة والابناء جميعاً في الدولة كما تذوب حفنة من السكر في الماء . فالطاعة للدولة كانت في عرف الجدود واجباً من جملة الواجبات ، على ان مبدأ «الكلية» جعل هذه الطاعة الواجب الوحيد .

وفي الفصل الثاني يخاطب المؤلف راهبة كندية ليسمعها صراخ قلبه ويقول لها في النهاية ان السلطان الهتلري سينهار كما انهار كل سلطان قبله وان العالم يستطيع ان يعوض كل ما خسره مادياً ، ولكن ضمير العالم لن ينقذه الا اعجوبة من السماء .

وفي الفصل الثالث يخاطب المؤلف محرري نشرة « لاجل فرنسا الحرة » التي تصدر عن بونس ايرس قائلا لهم « ان ما كان يجمعنا في الماضي لا يحتاج الى تبيان فروح الاخوة التي عشناها كانت هبة من الله بل نعمة ، وهذه الروح سنلقاها من جديد اذا كنا جديرين بها . لقد كنا اخوة حقيقيين لا نرى حرجاً في اقتسام الحياة والموت بيننا كما نقتسم علبة من القديد او حفنة من التبغ . وصرنا بخلاء، وسنبقى بخلاء الى اليوم الذي نعطي فيه كل ما نملك . يجب ان نعود كما كنا . يجب ان نلقى من جديد سر ذلك التجرد ونكران الذات ، تلك البساطة وتلك الرأفة .

وفي الفصل الرابع يخاطب المؤلف رجال اوربا قائلا لهم ان جيلا من الرجال الاحرار قد ينبثق غداً من كارثة اوربا وانهيار الطغاة ومن آلامنا وبؤوسنا . فليعلم العالم ان الانظمة السياسية والاجتماعية التي يعرضها لنا الخطباء لن تعوض عن الخور الذي ادرك العقول والقلوب وان القانون لا يصون صيانة فعالة الا اذا صانه من المفسدين رجال كبار النفوس تحيا فيهم تقاليد القوانين التي لم تكتب، قوانين العدل بحسب الروح .

وفي الفصل الخامس يقول الكاتب انه لا يريد الايمان بسوى الشرف الفرنسي فالشرف لا يعلّم ، ولو تجمعت كل عبقريات العالم الادبية لما استطاعت اعطاءه لمن لا يملكه ولا انتزاعه ممن يملكه ويحمله في لحمه ودمه . قال : « صرت لا اؤمن بسوى الشرف الفرنسي ولا اعيش الا لانتقم له . »

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

كان شهر حزيران المنصرم حافلا بالاحداث الجسام سواء في الجبهة الحربية او في الجبهة السياسية ، ففي اول هذا الشهر هاجمت الف طائرة قذف بريطانية تواكبها مئتـــان وخمسون طائرة طراد حربية رينانيا وكولونيا واعطت هذه الغارة الجوية ، وهي اعظم غارة في التاريخ ، نتائج تفوق الحد المنتظر منها ولم يخسر الطيران البريطاني الا اربعاً واربعين طائرة . وبعد مرور يومين شنت ١٠٣٦ طائرة بريطانية غارة اخرى على الاهداف الصناعية في منطقة اسن ، وهي مركز مصانع كروب الكبرى ، فيا كانت اسراب اخرى تهاجم المطارات العدوة في المانيا وفرنسا المحتلة وهولنـــدا . وقد تكلم المستر تشرشل في مجلس العموم فقال ان هاتين الغارتين الليليتين هما بدء مرحلة في الهجوم الجوي البريطاني على المانيا وان هـــذا الهجوم سيزداد عنفاً وضخامة عندما تنضم القوى الجوية الاميركانية الى سلاح الطيران الملكي ، وذلك في وقت قريب .

وفي الخامس من حزيران نشبت في عرض جزيرة ميـــدواي معركة بحرية جوية كبرى بين الاسطول الاميركاني والاسطول الياباني استمرت ثلاثة ايام وانتهت بانسحاب هذا الاخير بعد ان مني بخسائر فادحة جداً . فقد غرقت منه حاملتا طائرات اوثلاث وعطبت اثنتان وعطبت ثلاث مدمرات واربعة طرادات وثلاث سفن تقل جنوداً . وغرقت من الاسطول الاميركاني مدمرة وعطبت اخرى واصيبت حاملة طائرات واحدة . ومما لا شك فيه ان الاسطول الياباني كان يستهدف هاواي ، فاحتلال هذه الجزر على جانب عظيم من الاهمية فهي مفتاح المحيط الهادى. في يد الاميركان وهي خنجر مصوب الى اليابان . وهي الى ذلك نقطة اتصال حيويـــة بحرية وجوية بين الولايات المتحدة واستراليا والهند والصين .

وفي الثاني من حزيران دخلت الحرب بافريقيا في مرحلتها الثانية وقد عاود الجنرال روميل الكرة نحو العظم وسيدى رزق والدودة وطبرق . وكانت القوات الفرنسية الحرة تواصل تمثيل دورها الباهر في بئر هاشم بقيادة الجنرال كونيغ . وقد بقيت هذه القوات مدة ستة عشر يوماً تواصل صد الهجمات المحورية عن بئر هاشم ببطولة لم يشهد مثلها التاريخ الا في النادر القليل . واذاع راديو لندن عن الفرنسيين الاحرار اذاعة طويلة قال فيها ان جميع صحف العالم اطرت بطولة الجنود الفرنسيين وان اسم بئر هاشم سيظل وقتاً طويلا يخفق على الاعلام الفرنسية بعد ان تكون اسماء الجينا . والخائنين قد نسيت .

وبعد الفوز الذي دفع روميل ثمنه غالياً جداً في بئر هاشم تحول شطر عكرمة غربي طبرق وهدفه هذه الاخيرة . وقد سقطت في الثاني والعشرين من حزيران .

وفي السابع من حزيران شن الالمان هجوماً شديداً على حصن سيباستبول للاستيلاء عليه قبل استئناف معركة شبه جزيرة كرتش شطر الشرق . على ان الروس صدوا هذا الهجوم كما صدوا جميع الهجمات التي تلته . ولا تزال المعارك الهائلة دائرة الرحى منذ شهر في منطقتي خركوف وسيباستبول ، وفي هذه الاخيرة التي اشتد فيها الضغط الالماني اشتركت الوحدات الضخمة من الاسطول الروسي في البحر الاسود ناسفة المراكز الالمانيـــة بمدافعها الثقيلة . وفي السادس عشر من حزيران بلغت معركة سيباستبول شدة منقطعة النظير استمرت طول الشهر ، فاذا سقطت سيبـــاستبول يكون الالمان قد دفعوا ثمناً باهظاً جداً واذا فشلوا يكونون قد منوا بهزيمة على جانب عظيم من الخطورة .

هذا من الوجهة الحربية اما من الوجهة السياسية والديبلوماسية فقد تخلل الشهر المنصرم احداث اهمها المعاهدة الروسية البريطانية بعد مرور سنة على حملة روسيا ، ورحلة المستر تشرشل الثالثة الى واشنطن . ففي مطلع حزيران سافر الرفيق مولوتوف على حين غرة الى لندن ووقع مع الحكومة البريطانية معاهدة على جانب عظيم من الاهمية ينص اهم بنودها على فتح جبهة اوربية خلال سنة ١٩٤٢ الحالية . وما عتم الامر ان وصل المستر تشرشل على حين غرة ايضاً الى واشنطن لاجراء مباحثات مع مستر روزفلت تتناول في جملة الشؤون الحربية مسألة فتح الجبهة الثانية في اوربا . ولا تزال المباحثات جارية بين الرئيسين الاميركاني والبريطاني . واكبر الظن ان تردد الالمان في شن ذلك الهجوم الكبير الذي كثيراً ما هددوا به وسموه « هجوم الربيع » يرجع الى خوفهم من فتح الجبهة الاوربية . وقد ذكرت جريدة « تان » التركية متوقعة فتح هذه الجبهة ان بعض الادلة يثبت ان الحلفاء سيقومون قريباً بهجوم احتلالي في القـــارة الاوربية . فالانكليز يملكون السيادة الجوية ليس في سماء الجزر البريطانية فحسب بل في سماء المانش والساحل الغربي ايضاً . وليستطاع القول بان جميع التدابير اللازمة لهذا الهجوم اصبحت متوفرة .